

حكاية الجن

من بدء الخلق إلى مشاهد الآخرة

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾

سورة الرحمن، الآية ١٥

في ضوء القرآن الكريم
وروايات أهل البيت عليهم السلام

تأليف الباحث والكاتب

السيد حسام زهاء مرتضى الصراف الحسيني

الكتاب الخامس في سلسلة
من أحد عشر كتاباً

ISBN 978-1-7642390-7-3



9 781764 239073

تاريخ التأليف: ٣ حزيران ٢٠٢٢م
الموافق ٤ ذي القعدة ١٤٤٣هـ

حكاية الجن

من بدء الخلق إلى مشاهد الآخرة

عالم الجن وأخبارهم في ضوء القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام

الكتاب الخامس في سلسلة من أحد عشر كتاباً

تأليف

السيد حسام زهاء مرتضى الصراف الحسيني

تاريخ التأليف: ٣ حزيران ٢٠٢٢م، الموافق ٤ ذي القعدة ١٤٤٣هـ

ISBN: 978-1-7642390-7-3

ISBN 978-1-7642390-7-3



الإهداء

إلى أبي وأمي...

قبل أن أعرف أسماء الكتب، عرفت أن للطمانينة وجهًا وصوتًا. ومن تلك المعرفة الأولى أحمل إلى هذه الصفحات رجاء: أن يكون العلم رحيماً بمن يطلبه، وأن تبقى الكلمة التي أكتبها جديرة بما بذلتها من محبة. لكما أهدي ثمرة من شجرة لا أنسى جذورها.

إلى زوجتي...

للكتاب وقت ظاهر نراه في صفحاته، ووقت آخر تهيئه المساندة والصبر. ولك في هذا الوقت الآخر فضل أحفظه. أهديك هذه الرحلة، وأرجو أن يكون ما نعود به منها أقرب إلى صفاء الحياة التي نتقاسمها.

إلى ابني وابنتي...

أضع بين أيديكم حكاية عن عالم مستور، وأرجو أن تفتح فيكم نافذة واسعة على السؤال. ليكن في قلوبكم متسع للدهشة، وفي عقولكم متسع للدليل؛ فالجمال لا يضيع حين نسأل عن صدقه، والإيمان لا يضيق بكلمة «لا أعلم».

إلى طلابي، وإلى الشباب الذين يجمعني بهم الدرس أو اللقاء في شبرتون، في المدارس ومسجد وحسينية الإمام الكاظم عليه السلام...

هذه صفحات أريدها قريبة من أسئلتكم. إن وجدت فيها جواباً نافعاً نخذوه، وإن وجدت موضعاً يحتاج إلى بيان فضعوا عندهم سؤالكم؛ فللقارئ نصيب في اكتمال معنى الكتاب.

وإلى كل من يمد يده إلى إنسان خائف، فيعيّنه على أن يفهم قبل أن يحكم، ويطمئن قبل أن يستسلم... أهدي هذه الحكاية، وأسأل الله أن يجعل أثرها نوراً في الفهم، ورفقاً في القلب، وصدقاً في اللسان.

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي أتاح لهذا السؤال أن يجد طريقه إلى الكتابة، ومنحني من الوقت والعافية ما أحاول أن أشكره بحسن استعماله. والصلاة والسلام على محمد وآله، الذين أقف عند ذكرهم سائلاً الله أن يرزقني أمانة النقل وحسن الأدب.

حين أنظر إلى كتاب اكتمل نصه الأول، أرى وراء سطوره وجوهاً كثيرة. منها من منحني المحبة، ومنها من علمني حرفاً، ومنها من أيقظ في نفسي سؤالاً. لذلك لا أريد لهذه الصفحة أن تكون تعداداً للأسماء بقدر ما تكون اعترافاً بأن جهد الفرد تنمو حوله أفضال الآخرين.

لوالديّ دعائيّ وامتنانيّ، ولزوجتي وأولادي محبتي وشكري على ما يحيط الكتابة من مساندة واحتمال للانشغال. يبقى حضورهم أقرب إليّ من أن تحيط به عبارة شكر.

ومن بداية الطريق أستحضر الأستاذة أم دعاء؛ تلقيت عنها القرآن والتربية الإسلامية في سنوات الابتدائية. ولها في سجل الوفاء مكان لا تحوه المسافة بين أول درس وهذه الصفحات.

وأحفظ للشيخ عبد الرسول السوداني الناصري فضل ما تعلمته في المدة الوجيزة جداً التي قضيتها بحوزة النجف. وأذكر أستاذ الأحياء في إعدادية الحمزة، الأستاذ كامل، وأساتذتي في قسم صحة المجتمع بالمعهد التقني الطبي في الديوانية، وسائر من كان لهم حق التعليم عليّ. اختلفت مواد الدرس، واجتمع فضل بذل المعرفة.

وللشيخ أحمد الوائلي، رحمه الله، وفاء خاص لما تركه بيانه في اهتمامي بالعلم. كما يمتد الشكر إلى العاملين على صيانة المصادر وتحقيقها وفهرستها؛ فكم من جهد صامت صار بين أيدينا صفحة يمكن قراءتها ومراجعتها.

وأترك في هذه الصفحة مكاناً للقارئ الذي سيختلف معي بأدب، أو يردني إلى نص فاتني، أو يكشف خطأ في نسبة أو فهم. ذلك عون أرجوه وأشكر صاحبه مقدماً. لا يحمل أحد ممن ذكرتهم مسؤولية استنتاجاتي؛ فالامتنان لهم، ومسؤولية هذا النص عليّ.

كلمة المؤلف

لكل كتاب سؤال يقوده. والسؤال الذي قادني إلى «حكاية الجن» لم يكن: كم نعرف من غرائب هذا العالم؟ بل: أي صورة تبقى حين نضع الحكايات المتداولة بجوار النصوص ونقرأ الاثنين بتأنٍ؟ وجدت في القرآن أبواباً لا تفتحها الحكاية الشعبية غالباً: جماعة تنصت، وعقول تراجع ما اعتقدته، ومنذرين يعودون إلى قومهم، ومكلفين يقفون عند عاقبة اختيارهم. ووجدت إبليس في موضعه، فرداً عاصياً لا صورةً وحيدة لكل الجن. عندها اتضح لي أن موضوع الكتاب أرحب من الخوف الذي يحيط باسمه.

أكتب بصفتي باحثاً يجمع ويرتب ويحاول أن يقرب المعرفة. لست من رجال الدين، ولا أنسب إلى نفسي أهلية الاجتهاد أو التخصص في تحقيق الأسانيد. لهذا أجعل موضع المصدر ظاهراً، وأميز الحكم الذي أنقله عن العالم من الملاحظة التي أفهمها أنا، وأبقي السؤال مفتوحاً حيث لا يكفي الدليل. وفي ذهني، وأنا أكتب، قارئ يحب الحكاية ولا يريد أن يخسر الحقيقة من أجلها. أريده أن يجد لغة لها حياة، وأن يعرف في الوقت نفسه أين انتهى الخبر وبدأ التأمل. للخيال عندي عمل في اختيار المدخل والصورة والإيقاع؛ أما الوقائع المنسوبة إلى الله ورسله وأوليائه، فلا يضيف إليها الخيال حدثاً أو قولاً.

أسير في هذه الرحلة من الخلق إلى المصير، وأحاول أن أجعل اختلاف الموضوعات طريقاً يمكن متابعته: من أصل الخلقة إلى امتحان إبليس، ومن رسالة الأنبياء إلى استماع القرآن، ومن أخبار أهل البيت إلى أسئلة الحياة والموت والحساب.

قد يتنى القارئ جواباً عن هيئة لم يصفها النص، أو اسم لم يصلنا، أو زمن لم يحدده. سأشاركه السؤال، ولكنني لن أمنحه يقيناً لا أملكه. أرى أن صداقة الكاتب لقارئه تبدأ هنا؛ عند الجملة التي يقدر أن يكتبها ثم يمتنع عنها لأن دليلها لم يكتمل.

وكل رجائي أن تضيف هذه الصفحات إلى المعرفة سكية، وإلى السكية مسؤولية. فإن قادت قارئاً
إلى تدبر آية، أو إلى التثبت من رواية، أو إلى الرفق بإنسان حمل عليه الخوف، كان لذلك عندي معنى
يستحق هذا الجهد.

السيد حسام زهاء مرتضى الصراف الحسيني

موضع الكتاب في السلسلة

ينتمي «حكاية الجن» إلى سلسلة من أحد عشر كتاباً، يأتي فيها خامساً بعد «حكاية الكون» و«حكاية النبات» و«حكاية الحيوان» و«حكاية الملائكة»، وقبل «حكاية الخلق قبل آدم» و«حكاية الإنسان» و«حكاية الهداية» و«حكاية الروح» و«حكاية الجنة» و«حكاية الخلق الذي لا نعلمه».

يرتب هذا المسار موضوعات القراءة، ولا يقرر ترتيباً زمنياً لجميع المخلوقات. وتلتقي الكتب في تقديم القرآن، والاستفادة من روايات أهل البيت عليهم السلام، والتمييز بين النص والتفسير والخبر والتأمل. يختص هذا الكتاب بالجن أنفسهم وبما يتصل بهم من أخبار إبليس والشياطين. وتعود إليه موضوعات قد تمر في كتب أخرى، نخلق الجان وقصة سليمان واستماع القرآن. أما التفصيل في سيرة كل نبي أو إمام، أو في أحوال الإنسان بعد الموت، فله موضعه الأوسع في الكتب المختصة به.

أحاول أن يكون كل كتاب مفهوماً في نفسه، وأن تضيف قراءة السلسلة اتساعاً إلى الفهم، دون أن يضطر القارئ إلى البحث في كتاب آخر عن معنى أساسي يحتاج إليه في متابعة الحكاية التي بين يديه.

المقدمة العامة — حين يصير الإصغاء بداية الهداية

للكتب أبواب، ولهذه الحكاية باب من الإصغاء.

نقف أمامه وفي أذهاننا ما تركته المجالس من صور وأسماء. ثم نفتح القرآن، فنجد في أول سورة الجن خبراً عن مستمعين. لا نرى وجوههم، ولا نعرف أسماءهم، لكن الوحي يحفظ لنا الكلمة التي قالوها حين مسهم الهدى:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾

سورة الجن، الآية ١.

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ^ط وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾

سورة الجن، الآية ٢.

يكفينا هذا القدر لنقترب من المشهد. جماعة تسمع، وتتبين وجه الهداية، ثم تعلن إيمانها. ليست دهشتها نهاية الطريق؛ وراء الدهشة اختيار. ومن هنا أريد أن يدخل القارئ الكتاب: من لحظة يكون فيها الإنصات بداية لتحول في المعرفة والعمل.

وفي طرف آخر من الحكاية نقف أمام إبليس. جاءه الأمر، فقدم عليه تصوره عن نفسه. جعل النار والطين ميزاناً للمقام، وغاب عنه أن قيمة العبد في طاعته، لا في المادة التي خلق منها. بين استماع يفتح القلب واستجبار يغلقه تمتد أسئلة هذا الكتاب.

ثم نمضي إلى ملك سليمان عليه السلام. نقرأ عن عمل وقدره، وعن عرش يعرض عفريت أن يأتي به، ثم نقف عند موت النبي، حيث كشفت دابة الأرض حدود علم من ظن الناس بهم سعة المعرفة. هكذا تعلمنا القصة أن نرى القدرة وحدّها معاً.

ومن ذلك الزمن نصل إلى القرآن المتلو على مسامع الجن، ثم إلى الروايات التي حفظت أسئلتهم وصلتهم بأهل البيت عليهم السلام. وفي كل انتقال نحمل سؤالين: ماذا وصل إلينا؟ وبأي طريق وصل؟ فالحكاية التي تخفي طريقها تترك القارئ بلا وسيلة للتمييز.

لن يرى القارئ في هذه الصفحات عالماً استوفينا خرائطه. سيرى مواضع أضواءها النص، ومسافات بقيت مستورة، وأخباراً تحتاج إلى نظر. والخيال الذي يصحب العبارة سيبقى في العبارة؛ لا يسمى من لم يسم، ولا ينشئ مجلساً لم ينقل، ولا يجعل التأمل شهادة على الغيب.

ولعل في هذا سر قرب الحكاية منا. كلما نظرنا في عالم الجن عدنا إلى أمر يخص الإنسان: كيف يسمع؟ ومتى يصدق؟ وبماذا يغتر؟ وكيف يحمل مسؤولية ما اختار؟ إننا نعبر أبواباً من الغيب، وفي أيدينا أسئلة شديدة الصلة بحياتنا.

فلنبداً من الإصغاء، ولندع ما نعرفه يقود الخطوة التالية. وما لم نعرفه، نحفظ له حقه في أن يبقى سؤالاً.

إحالات المقدمة: القرآن الكريم، الجن: ١-٢؛ وتفصيل قصة إبليس وسليمان والاستماع في الأبواب الثاني والثالث والرابع.

منهج الكتاب ومصادره

القرآن أصل النظر

أجمع الآيات المتصلة بالمسألة، وأقرأها في سياقها وفي ضوء نظائرها. وما صرح به القرآن يختلف عما استنبطه مفسر من أحد ألفاظه. وعند نقل الآية أوردتها كاملة، وأثبت اسم السورة ورقم الآية، وأفصل كلامي عن النص المنقول.

وإذا احتمل اللفظ أكثر من معنى، أبين ذلك دون أن أعرض أحد الاحتمالات بوصفه النص نفسه. كما أميز بين كون الآية دليلاً مباشراً على شأن الجن، وبين استعمال معنى عام فيها لتأمل أخلاقي يشمل الإنسان.

الروايات ودرجات الاحتجاج

أرجع إلى ما روي عن النبي وأهل البيت عليهم السلام في المصادر الإمامية. وذكر الخبر في كتاب معتبر الاسم لا يعني الحكم بصحة جميع أسانيده. لذلك أحفظ الفرق بين ثبوت موضع الرواية في المصدر وثبوت صدورها، وبين قبول أصل المعنى وقبول كل تفصيل في لفظ بعينه.

وحين أنقل حكماً على سند أنسبه إلى صاحبه. لا أطلق «صحيح» أو «ضعيف» من غير بيان مستند الحكم، ولا أعد عدم العثور على خبر في مجموعة المصادر المراجعة دليلاً على عدم وجوده في جميع الكتب.

وقد يشتمل المصدر على كلام المؤلف، أو تعليق المحقق، أو خبر يرويه عن كتاب آخر. لكل واحد من هذه المستويات نسبته، ولا يتحول قول المفسر إلى حديث عن الإمام بمجرد مجاورته له.

استعمال التفاسير والكتب الجامعة

أستعين بالتفاسير الإمامية في بيان اللغة والسياق وعرض الأقوال والآثار. وتختلف وظيفة التفسير الروائي عن وظيفة التفسير التحليلي؛ فجمع الروايات يقدم مادة البحث، ولا يقوم وحده مقام فحص طرقها.

وأستفيد من «بحار الأنوار» وأمثاله في الوصول إلى الأخبار وجمع نظائرها، مع الرجوع إلى المصدر السابق حين يتاح. ويذكر المصدر الذي أمكن فحصه فعلاً، ولا تُدرج الكتب في قائمة المراجع على أنها مقروءة لمجرد شهرتها.

حدود الحكاية

لا أضع على لسان شخصية حواراً لم يرد، ولا أحدد عمراً أو بلداً أو اسماً بلا مصدر. وأذكر الخبر المختلف فيه بلفظ يدل على مرتبته، مثل «ورد في رواية» أو «نقل المفسر»، بدل تحويله إلى حدث مقطوع به. وفي الموضوعات الصحية والفقهية لا يتولى السرد تشخيص الأشخاص أو إصدار أحكام تفصيلية مستقلة. تُعرض النصوص في حدود دلالتها، وتبقى المسائل المتخصصة مرتبطة بأهل اختصاصها.

الإحالات

ترد إحالات المصادر في ختام الفصول أو بجوار الخبر الذي تحتاج نسبته إلى إيضاح. وعند اختلاف الطبعات أعتمد اسم الكتاب والباب والحديث أو موضع الآية، وأذكر الصفحة حيث أمكن تثبيت ترقيمها. لا تحل هذه الدراسة محل استقصاء جميع الطبعات والمخطوطات أو تحقيق رجالي مستقل لكل طريق.

ويضم آخر الكتاب سجلاً يفرق بين مواضع النصوص التي قوبلت، والأحكام المنقولة عن العلماء، والمسائل التي بقيت مفتوحة. بذلك يستطيع القارئ معرفة حدود العمل من داخل الكتاب.

تمهيد — ما الذي نعرفه وما الذي نبحث عنه؟

قبل أن نمضي إلى البدايات، نحتاج إلى تثبيت موضع أقدامنا. فالجن في هذا الكتاب مخلوقون من خلق الله، وليس خفاؤهم عن إدراكنا المعتاد رفعة إلى مقام الألوهية. يسمعون ويختارون ويخطئون، وتبلغهم الحجة، ويقعون تحت حكمه.

قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

سورة الذاريات، الآية ٥٦.

تضع الآية غاية الوجود أمام فضول التفصيل. ومن الغاية تنشأ أسئلة الرحلة: كيف يصل البيان؟ وما أثر الاستجابة؟ وأين تنتهي العداوة؟ وماذا يبقى حين ينقضي زمن العمل؟

وسنعتني بالألفاظ الصغيرة، فقد يتغير الفهم بسبب اسم أو وصف. العفريت في قصة سليمان لم يسمه القرآن، والنفر جماعة لم تعين أسماء أفرادها، والشياطين وصف يرد للإنس والجن. لا نملك أن نحول هذه الفروق إلى شيء واحد طلباً لسهولة الحكاية.

أما زاد الطريق فثلاثة أسئلة نعود إليها عند الحاجة: ماذا يقول المصدر؟ وما مقدار ثبوت الخبر؟ وهل تتسع دلالاته للنتيجة التي نريدها؟ ليست الغاية أن تثقل هذه الأسئلة القراءة، بل أن تحميها، كما تحفظ العلامات للمسافر وجهته.

نبدأ الآن من أصل الخلق. وما يصلنا من النور نقرأ به، وما بقي وراء حدود معرفتنا لا نرسمه على أنه مشهد رأيناه.

إحالات التمهيد: القرآن الكريم، الذاريات: ٥٦؛ النمل: ٣٩؛ الأنعام: ١١٢.

الباب الأول — بداية الحكاية: خلق الجن وعالمهم الأول

لم يبدأ العالم حين فتح الإنسان عينيه عليه. يخبر القرآن عن خلق سبق خلقه، ويضع أمامه من أخبار ذلك الخلق ما يعينه على معرفة موقعه وحدوده. ومن هذا الباب نبدأ: من النص الذي يثبت الوجود والأصل، ثم مما ورد في تفسيره، مع إبقاء السؤال مفتوحاً حيث لا يقوم دليل على التفصيل.

الفصل ١ — الجن في القرآن الكريم: خريطة النصوص والموضوعات

كيف تتكون الصورة؟

تتوزع أخبار الجن في القرآن بين آيات الخلق ومشاهد الرسائل وخطاب المسؤولية والجزاء. وإذا قرأنا موضعاً وحده فقد نعرف جانباً ونغفل جوانب أخرى. من يقف عند إبليس قد يتصور الشر صفة لجميع الجن، ومن يقف عند ملك سليمان قد يبالغ في قدرتهم، ومن يبدأ بسورة الجن يرى فيهم مستمعين ومؤمنين ومختلفين في الاختيار.

قال تعالى:

﴿وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُتَّاءٌ طَرَائِقُ قَدَدًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الآية ١١.

يحفظ هذا الاعتراف بالتنوع داخل عالمهم. والصلاح هنا ليس اسماً لمادة الخلقة أو قوة الجسد، بل وصف لحال يختلف فيه المكلفون. وترد بعده آيات تتحدث عن الإيمان والإسلام والقسط، فينتقل القارئ من سؤال وجودهم إلى سؤال طريقهم.

موضوعات تتصل ولا تتطابق

في سورة الحجر يرد سبق خلق الجن، وفي الرحمن يرد أصل الخلق من النار، وفي الكهف بيان أن إبليس كان من الجن. وفي النمل وسبأ وص نقرأ مشاهد التسخير، ثم نسمع في الأحقاف والجن خطاب الذين استجابوا للقرآن. أما الأنعام والأعراف وفصلت فتدخلنا في خطاب الحشر والاتباع والمصير.

هذه الخريطة لا تجعل كل استعمال لكلمة متشابهة حديثاً عن الكائن نفسه. فالجان في وصف العصا، مثلاً، يأتي في سياق تشبيه الحركة، ولا يكفي تشابه اللفظ لنقول إن عصا موسى تحولت إلى فرد من الجن. والسياق هو الذي يمنع خلط الموضوعات.

ولا تدعي الخريطة أنها أحاطت بكل ما يمكن استنباطه من القرآن. وظيفتها أن تُبقي الآية في موضعها، وأن تعيننا على قراءة الجزئي في ضوء الصورة الأوسع. لهذا يعود الكتاب إلى الآيات بحسب الحاجة، ويجمع دليلاً موضوعياً لها في آخره.

إحالات الفصل: القرآن الكريم، الحجر ٢٧؛ الرحمن ١٥؛ الكهف ٥٠؛ النمل ١٧ و ٣٩؛ سبأ ١٢-١٤؛ الأحقاف ٢٩-٣٢؛ الجن ١-١٥. وللمثال اللغوي: النمل ١٠.

الفصل ٢ — الجن والجان والشياطين والعفاريت: الأسماء والفروق

الاسم لا يغني عن السياق

تحمل مادة «جن» في العربية معنى الستر، وتظهر صلتها بهذا المعنى في ألفاظ متعددة. لكن الاشتراك في الجذر لا يجعل مدلولات الكلمات متطابقة. فالجنين غير الجنة، والجن في خطاب التكليف غير الجان الذي يرد في تشبيه حركة العصا.

والشيطان لا يساوي كل جني. قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا^ج
وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ، الْآيَةُ ١١٢.

تذكر الآية شياطين الإنس والجن، وتصف علاقتهم بإيحاء القول المزخرف والخداع. فهي تمنع اختزال الشر في جنس مستور، كما تمنع إعفاء الإنسان من مسؤوليته إذا مارس الإضلال نفسه.

العفريت وصف في قصة

قال تعالى:

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ^ط وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾
سُورَةُ النَّملِ، الْآيَةُ ٣٩.

يُعرف القرآن صاحب العرض بأنه عفريت من الجن، ولا يذكر اسماً شخصياً له. كما ينقل وصفه لنفسه بالقوة والأمانة في المهمة المطلوبة. لذلك يبقى «عفريت سليمان» في معجم هذا الكتاب تعريفاً سياقياً، ولا يصبح اسماً علماً يضاف إلى قائمة أسماء معلومة.

ويأتي وصف المارد في سياق الشياطين، دالاً على التمرد وشدة العتو، لا على جدول تصنيف طبيعي يبين سلالات الجن. ويمكن أن تستعمل المصادر ألفاظاً كالعوامر والغيلان والسعال، لكن ورودها في اللغة أو الأدب لا يثبت تلقائياً أنها أصناف منصوص عليها في حديث صحيح.

إن ضبط الأسماء أول خطوة في ضبط الحكاية. فقد يكون لشخص واحد أكثر من لقب، وقد يطلق وصف واحد على أفراد كثيرين، وقد يحمل الاسم نفسه إنسان وجني في خبرين مختلفين. وحفظ هذه الفروق يمنع زيادة عدد الشخصيات بسبب اختلاف الكتابة وحده.

إحالات الفصل: القرآن الكريم، الأنعام ١١٢؛ النمل ١٠ و ٣٩؛ الصافات ٧. والتفصيل في أسماء الأفراد في الفصل ٤١ ومعجم الأسماء.

الفصل ٣ — من نار السموم ومارج النار: أصل الخلق

ما يقوله النص

﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾

سُورَةُ الْحَجَرِ، الآيَةُ ٢٧.

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ، الآيَةُ ١٥.

يثبت النص أصلاً للخلقة، ويترك لنا أن نتلقى هذا الخبر في حدوده. وتبين ألفاظ السموم والمارج صفات متصلة بالنار، وقد اختلفت عبارات المفسرين في شرحها. ولا يسوغ أن نجعل هذا الاختلاف وصفاً مخبرياً لجسد الجنى أو تركيباً كيميائياً له.

حين يخبر القرآن عن خلق الإنسان من تراب، لا يعني ذلك أن جسده الحاضر كتلة تراب غير متحولة. وبالمثل، فإن خبر أصل خلق الجن من النار لا يكفي وحده للحكم بأن كل ظهور لهم يجب أن يكون لهباً محسوساً، أو أنهم لا يتأثرون بعذاب يتعلق بالنار. تختلف قضية البداية عن قضية الحال والقدرة والتأثر.

حين تتجاوز المصطلحات أدلتها

قد يغري لفظ النار بعض الكتاب بتفسير الجن بالكهرباء أو الإشعاع أو البلازما. غير أن تسمية شيء غيبي باسم ظاهرة فيزيائية تحتاج إلى دليل يثبت المطابقة؛ وتشابه بعض الأوصاف أو خفاء الظاهرة عن العين لا يؤدي هذه الوظيفة.

ولا يقدم هذا الكتاب ادعاءً علمياً بوجود أجهزة تكشف الجن أو تقيس أجسامهم. كما لا يجعل غياب هذا القياس نقضاً للنص الديني؛ فذلك باب في أصول المعرفة يختلف عن إثبات دعوى تجريبية بعينها. تبقى النتيجة التي يحملها هذا الفصل واضحة: الجن مخلوق لله، وأصل خلقه مذكور، وتفاصيل كيفيته ليست مبسطة لنا. وحين نقبل حد المعلومة، يصبح النص أكثر وضوحاً، لأننا لا نثقل عليه بأسئلة لم يجب عنها.

إحالات الفصل: القرآن الكريم، الحجر ٢٦-٢٧؛ الرحمن ١٤-١٥. الطباطبائي، الميزان، تفسير الجن ١-١٧، فقرة «كلام في الجن»، في جمع الآيات المتعلقة بأصل الخلق.

الفصل ٤ — قبل خلق آدم: سبق الوجود وأسئلة البداية

ما قبل الإنسان

تعيد آية الحجر القارئ إلى زمن سابق لخلق الإنسان، لكنها لا تقدم تاريخاً مفصلاً لذلك الزمن. نعرف منها السبق، ولا نعرف منها عدد القرون أو الأجيال، ولا أسماء الملوك والأمم الذين قد تتحدث عنهم بعض الحكايات.

ويختلف السؤال عن بداية نوع الجن عن السؤال عن إبليس. فالقرآن يصفه بأنه من الجن، ولا يصرح بأنه الأب الأول لجميعهم. ومن ثم لا نجعل سلسلة البشر التي تبدأ بآدم نموذجاً نملاً به كل فراغ في تاريخ الجن.

الأعداد تحتاج إلى طريق

في الروايات المتعلقة بما قبل آدم أعداد ومدد وصور لأمم سابقة. ومن أمثلتها خبر في تفسير العياشي يروى عن عيسى بن حمزة، ويتحدث عن مراحل للخلق ومدد من آلاف السنين. ولا يصلنا في موضعه

سند كامل من المصنف إلى الإمام. ولهذا النقص شاهد في مقدمة النسخة المتداولة: يذكر مختصر الكتاب أنه حذف الأسانيد بعدما لم يجد في بلده من يروي التفسير بسماع أو إجازة، وأنه أبقى بقية النص. فالحذف تصرف في نقل الكتاب، ولا يصح نسبته إلى العياشي نفسه. وقد نوقش أثر هذا الإرسال في مصباح الفقاهة، تقرير أبحاث الخوئي، مع الفصل بين وثاقة المصنف واعتبار طرق النسخة. لذلك لا نعتمد الأعداد المذكورة تقويماً يقينياً لتاريخ الأرض، ولا نجعل فقد السند دليلاً على اختلاق كل ما في الخبر.

كما أن اختلاف ألفاظ الأخبار وأرقامها يوجب فحص كل نص في سياقه. ولا يصح تركيب جدول من أعداد مأخوذة من أخبار مختلفة، ثم تقديمه كما لو كان رواية واحدة متسقة.

ليس قبول وجود خلق قبلنا إذناً لنا بتحديد كل ما كان هناك. يترك هذا الحد للحكاية صدقها، ويتيح لكتاب «حكاية الخلق قبل آدم» أن يتوسع في مادته المختصة دون أن يحمل هذا الكتاب تفاصيل لم يتثبت منها.

إحالات الفصل: القرآن الكريم، الحجر ٢٧؛ الكهف ٥٠. تفسير العياشي، ج ١، خبر عيسى بن حمزة عند البقرة ٣٠، رقم ٨ في النص المتداول، ص ٣١-٣٢ في إحدى طبعاته؛ والمقدمة التي يشرح فيها مختصر النسخة حذف الأسانيد. مصباح الفقاهة، تقرير أبحاث الخوئي بقلم التوحيد التبريزي، ج ١، ص ٦٩، الفائدة الواردة في الحاشية بشأن التفسير.

الفصل ٥ — الأرض قبل الإنسان: تحقيق أخبار الجن الأوائل

سؤال الملائكة

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۚ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

سُورَةُ الْبَقَرَةِ، الآية ٣٠.

تحكي الآية إعلان الخلافة وسؤال الملائكة، ولا تسمي داخلها أمماً سبقت آدم، ولا تصف حرباً بينهم وبين الملائكة. وتأتي بعض الأخبار لتفسر منشأ السؤال بمشاهدة فساد خلق سابق؛ وهذه زيادة روائية ينبغي أن تبقى متميزة من اللفظ القرآني.

خبر الجن والنسناس

يُنقل في تفسير القمي خبر عن الجن والنسناس قبل آدم، وفيه ذكر سبعة آلاف سنة، ووصف للفساد وسفك الدماء. وقد ظهر هذا الخبر في النسخة المطبوعة من تفسير العياشي ضمن استدراك على سقط، مع تصريح بأن تمامه أخذ من تفسير القمي. وهذه الملاحظة ضرورية: مشاهدة النص في صفحة العياشي لا تبرر إخفاء أن تمامه منقول هناك من مصدر آخر.

وفي هذا الخبر صور وتعبيرات تحتاج إلى قراءة كلامية مع فحص الطريق، فلا تُحمل الألفاظ المتصلة بخلق الله ويده على التجسيم، ولا يُنسب إلى الملائكة ما يناقض المحكم لمجرد قراءة ظاهر عبارة محتملة في خبر لم يثبت تفسيره.

أما أسماء «الجن والبن» وما يلحق بها في القوائم الشعبية، فلا أجعلها هنا حلقات ثابتة في سلسلة الخلق. ويظل البحث عن أصل كل تسمية مستقلاً عن تصديق القائمة كلها.

ما الذي يبقى من الحكاية؟

يبقى أن القرآن يثبت سبق الجن، وأن في التراث أخباراً تحاول وصف أحوال سابقة. ولا يثبت بهذا وحده تسلسل شامل لحروب الجن أو عدد أممهم أو تواريخ ملوكهم. نحتفظ بالخبر بصفته مادة للتحقيق، ونحتفظ بالآية بمرتبها، ولا نخسر أمانة الرواية رغبة في مشهد أكثر ازدحاماً.

إحالات الفصل: القرآن الكريم، البقرة ٣٠. تفسير العياشي، ج ١، ص ٣٤ في النص الرقي المقابل، والاستدراك المصرح بنقله عن تفسير القمي عند قصة السجود؛ يُراجع أصل القمي وطريق الخبر قبل أي حكم بالصحة. لم يُنجز في هذه النسخة استقصاء أصول جميع تسميات الأمم السابقة.

الفصل ٦ — الجن والملائكة والإنسان: ثلاثة عوالم في نظام الخلق

الاختلاف لا يقطع وحدة العبودية

في بداية الرحلة تظهر لنا مخلوقات مختلفة، لكنها لا تملك استقلالاً عن خالقها. ولا يكون التفاضل الذي يعتد به الإنسان قائماً على مادة الخلق وحدها؛ فقصة إبليس نفسها تكشف فساد تحويل المادة إلى حجة على رفض أمر الله.

قال تعالى في الملائكة:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ، الآية ٢٦.

﴿لَا يَسْقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ، الآية ٢٧.

ويقول الجن عن أنفسهم:

﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الآية ١٤.

يمنع الجمع بين النصين أن ننقل أوصاف الملائكة إلى جميع الجن أو نجعل التمرد صفة لكل من خفي عن الحواس. كما يمنع أن نحكم على معنى التكليف من صورة تخيلناها للجسد.

من المشترك إلى المختلف

نقرأ في خطاب الجن فهماً للهدى، واختياراً له أو إعراضاً عنه، ونقرأ في خطاب الإنسان ذلك أيضاً. لكن اشتراكهما في المسؤولية لا يثبت أن كل أحكامهما التفصيلية أو حاجاتهما المعيشية متماثلة. ولا يدل اطلاع بعض الأنبياء على شأن منهم على أن كل إنسان يمتلك سبيلاً عاماً إلى عالمهم.

وإذا عرضت رواية لقاء أو خدمة أو سؤالاً، بحثنا الواقعة نفسها وطريقها. لا نستخدمها لإلغاء الفرق بين العوالم، ولا نبني منها قانوناً يميز لأي مدح أن ينسب لنفسه اتصالاً بالجن.

ينتهي الباب الأول عند هذه القاعدة: أصل وجودهم وأصل مسؤوليتهم موضوعان لهما أدلتهم، أما تفصيل حياتهم فله بحث آخر. ومن بين هذا الخلق يظهر إبليس، لا ممثلاً لكل الجن، بل صاحب موقف ستكشف قصته كيف يصبح الاستكبار عداوةً ممتدة.

إحالات الفصل: القرآن الكريم، الأنبياء ٢٦-٢٧؛ الجن ١٤؛ الذاريات ٥٦؛ ص ٧٦. وانظر الفصلين ٧ و ١٠.

الباب الثاني — إبليس: من الاستكبار إلى العداوة

ليس كل سؤال عن الجن سؤالاً عن إبليس، لكن قصته تكشف جانباً لا يمكن إغفاله في حكايتهم. إنها قصة مخلوق عرف الأمر ثم اعترض عليه، وأراد أن يجعل مكانته المتوهمة حجة على غيره. وتبقى قراءتها مرتبطة بالاختيار والمسؤولية، لا بتفسير الشر بوصفه قدراً تفرضه مادة الخلق.

الفصل ٧ — إبليس من الجن: الهوية والأصل

النص الذي يحدد الانتماء

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾
سُورَةُ الْكَهْفِ، الآية ٥٠.

تجمع الآية بين قصة السجود وتحديد انتماء إبليس، ثم تنتقل إلى سؤال الإنسان عن الولاية والاتباع. فلا تذكر أصله لمجرد التعريف، بل تربط المعرفة بالموقف: كيف يتخذ الإنسان ولياً من أعلن عداوته له؟ وقد نشأ الخلاف في تفسير وجود إبليس ضمن خطاب الملائكة، وفي وجه الاستثناء في آيات السجود. لكن دخوله في الأمر لا يستلزم أن تكون حقيقته من جنس الملائكة. وتقرأ هذه المسألة في ضوء التصريح القرآني بأنه كان من الجن، بدل جعل الاستثناء وحده حاكماً على سائر النصوص.

حدود ما يدل عليه الاسم

ثبتت الآية لإبليس ذرية، ولا تجعلها بالضرورة جميع أفراد الجن. كما أن وجوده في ذلك المشهد لا يعطينا تاريخاً كاملاً لولادته أو أسرته أو أول من خلق من نوعه. لذلك لا يبدأ معجم الجن بإبليس بوصفه أباً متيقناً للجميع.

وترد أخبار عن مرتبته السابقة وعبادته وأسمائه، ولها موضعها في الفصل التالي. أما هنا فالتمييز الأساس أن «إبليس» شخصية معينة، وأن «الجن» جنس يشمل من آمن ومن عصى، وأن «الشيطان» يرد في سياقات أوسع من اسم تلك الشخصية.

وتثمر هذه المعرفة عدلاً في الوصف. لا ننسب موقف إبليس إلى كل الجن، مثلها لا يصح أن نجعل فعل إنسان واحد حكماً على الناس جميعاً. وفي الوقت نفسه لا يحجبنا هذا التفريق عن العداوة التي صرح بها القرآن.

إحالات الفصل: القرآن الكريم، الكهف ٥٠؛ البقرة ٣٤؛ الجن ١١ و ١٤. الميزان، تفسير الجن ١-١٧، في جمع الآيات المتعلقة بإبليس وذريته.

الفصل ٨ — إبليس قبل امتحان السجود: العبادة والمقام والأسماء

حين لا تحمي كثرة العمل صاحبها

ترد في نهج البلاغة، في الخطبة القاصعة، عبرة من عبادة إبليس الطويلة التي أفسدها الكبر. ويذكر النص ستة آلاف سنة مع التنبيه إلى عدم تعيين كونها من سني الدنيا أو الآخرة. والمقصود المباشر في سياق الخطبة كشف خطر الاستكبار، لا تقديم تقويم كامل لتاريخ الجن.

جاء في النص: «فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس، إذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهد، وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة، لا يدري أمن سني الدنيا أم من سني الآخرة، عن كبر ساعة واحدة».

أورد هذا المقطع بوصفه نصاً في نهج البلاغة، ولا أدعي أن مجرد وروده فيه يقوم مقام دراسة طرق الخطبة. كما لا أحول العدد إلى حساب فلكي، ولا أضيف إليه مدداً من روايات أخرى لإكمال سيرة زمنية لم يثبت اتصالها.

اسم الحارث

روى الصدوق في «معاني الأخبار»، باب معنى إبليس، خبراً عن العباس بن هلال، عن الإمام الرضا عليه السلام، يذكر أن اسم إبليس الحارث، ويصل التسمية بالإبلاس من رحمة الله. وقد قابلت موضع الخبر بسنده المسوق من الصدوق إلى الإمام؛ فأصل الإحالة معلوم، وتسلسل الأسماء مثبت في سجل الروايات. لكن العثور على السند لا يمنح أسماءه جميعاً توثيقاً، ولا يحول الاسم إلى تسمية قرآنية.

وفي تقويم صدر هذا الطريق اختلاف يستحق البيان: ضعف الخوئي طريق الصدوق إلى العياشي في معجم رجال الحديث، بينما حسنه محسن الأعرجي في عدة الرجال، اعتماداً على دلالة ترضي الصدوق عن المظفر العلوي، وعلى وصف جعفر بن محمد بن مسعود بالفضل. ويتصل هذا البحث بصدر سند خبر «الحارث»، لا بجميع رجاله إلى الإمام. لذلك لا أنقل حكماً على الطريق إلى المصنف وكأنه حكم مكتمل على هذا الخبر بعينه، ولا أسوي بين سائر الأسماء المتداولة لإبليس. يبقى «الحارث» اسماً مروياً مع بيان مصدره وحدود الاستدلال به.

الامتحان يكشف ما تخفيه الصورة

يؤكد مشهد إبليس أن التاريخ السابق للعبادة لا يصير حقاً على الله يبيح رفض أمره. وحين يتحول العمل إلى سبب للغرور، يفقد صاحبه القدرة على رؤية نفسه عبداً. هنا تتصل أخبار ما قبل السجود بما سيقع عنده، دون حاجة إلى أن نخترع مناصب أو حوارات لم تثبت.

إحالات الفصل: نهج البلاغة، الخطبة القاصعة، رقم ١٩٢ في الترقيم الشائع. الصدوق، معاني الأخبار، باب معنى إبليس، الحديث ١، ص ١٣٨ في الطبعة المتداولة. الخوئي، معجم رجال الحديث، ترجمة محمد بن مسعود بن محمد، رقم ١١٧٩٥؛ محسن الأعرجي، عدة الرجال، ج ٢، ص ١٨٩-١٩٠، طريق الصدوق إلى محمد بن مسعود العياشي.

الفصل ٩ — خلق آدم والأمر بالسجود: بداية الامتحان

اجتماع الطاعة وظهور المخالفة

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾
سُورَةُ الْبَقَرَةِ، الآية ٣٤.

تضع الآية المشهد في كلمات قليلة: أمر بالسجود، واستجابة، واستثناء يفسره الإباء والاستكبار. ولا تستمد كرامة آدم هنا مشروعيتها من اعتراف إبليس بها، بل من تكريم الله وتعليمه وأمره. وتعرض سورة الحجر تفصيلاً آخر:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾
سُورَةُ الْحَجَرِ، الآية ٢٨.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾
سُورَةُ الْحَجَرِ، الآية ٢٩.

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾
سُورَةُ الْحَجَرِ، الآية ٣٠.

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾
سُورَةُ الْحَجَرِ، الآية ٣١.

لا يحمل هذا السجود في منهج التوحيد معنى تأليه آدم أو استقلاله عن ربه. فالآمر هو الله، والطاعة له، والتكريم لآدم داخل عبوديته. وهذا هو الفرق بين تكريم مخلوق بأمر الخالق وعبادته من دون الخالق.

ما الذي رفضه إبليس؟

لم يكن السؤال عما إذا كان آدم قادراً على أن ينتزع السجود بالقوة. كان الامتحان في الاستجابة لأمر لا يوافق ما توهمه إبليس عن منزلته. ولذلك لا ينبغي أن نختزل الحادثة في منافسة بين مخلوقين؛ أصلها موقف من الحكمة والأمر الإلهي.

وتتكرر القصة في القرآن لتكشف جوانبها، لا لتلزمنا بصنع وقائع متعددة لكل اختلاف في العبارة. نجمع المشاهد ونقرأ ما يزيده كل سياق: التكريم، والاستكبار، والعداوة، ومآل الإغواء.

ومن هذا الموضع تبدأ حكاية الإنسان مع عدو لا يستطيع أن يسلبه معنى التكليف، لكنه يسعى إلى أن يزين له الطريق الذي سار فيه أولاً: تقديم الرغبة في النفس على الحق.

إحالات الفصل: القرآن الكريم، البقرة ٣٠-٣٤؛ الحجر ٢٨-٣٣؛ ص ٧١-٧٦. وتفصيل البعد الأخلاقي في نهج البلاغة، الخطبة القاصعة.

الفصل ١٠ — رفض السجود: حين جعل إبليس نفسه معياراً للحق

أصل الخطأ

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ۖ أَتَكْبَرُتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾

سُورَةُ ص، الآية ٧٥.

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾

سُورَةُ ص، الآية ٧٦.

يستند جواب إبليس إلى مقارنة بين النار والطين، ثم يقفز منها إلى حكم بالتفوق وإلى رفض الأمر. وفي هذا الانتقال موضع الخلل؛ إذ لا تمنحه معرفته بمادة الخلق علماً بكل ما أودع الله في آدم، ولا حقاً في رد التكليف.

وفي الكافي، كتاب فضل العلم، باب البدع والرأي والمقاييس، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام خبر يشرح أن إبليس قاس نفسه بآدم، وهو الحديث الثامن عشر الذي وصفه المجلسي بالضعف في مرآة العقول. وجاء في الحديث العشرين من الباب ربط القياس بين النار والطين بإغفال ما امتاز به آدم. وفي نسبة حكم المجلسي إلى هذا الخبر التباس في ترقيم الشرح، بينه سجل الروايات. ويضم طريقه أحمد بن عبد الله العقيلي، الذي وصفه الجواهري في المفيد من معجم رجال الحديث بالمجهول؛ وقد تحققت مطابقة ترجمته بإحالاته إلى الحديث نفسه. وهذا سبب إضافي للتوقف عن الجزم بصحة الطريق على هذا المبنى. يظل أصل احتجاج إبليس بمادة خلقه ثابتاً بالآية، من غير أن يصبح ثبوت المعنى القرآني تصحيحاً تلقائياً لكل سند يرويه.

الكبر أخطر حين يفسد المعرفة

لم تكن مأساة إبليس ناشئة من جهل بسيط بوجود الله. لقد خاطب ربه، وعرف الأمر الذي امتنع عنه، ثم جعل نفسه فوق مقتضاه. والمعرفة التي كان يمكن أن تهديه صارت في خدمته حجة انتقائية يدافع بها عن الهوى.

ولا يقتضي نقد هذا الموقف ترك العقل أو تعطيل السؤال. فالسؤال الذي يطلب الفهم يختلف عن الاعتراض الذي يجعل الطاعة مشروطة بتأييد النتيجة المسبقة. ويفسد النظر حين يختار صاحبه من المعلومات ما يثبت امتيازَه، ويهمل ما يكشف جهله.

من الفرد إلى السلوك

تخرج العبرة إلى حياة الإنسان عندما يجعل النسب أو اللون أو المال أو العلم حقاً في احتقار غيره. لا يطابق ذلك كل تفاصيل قصة إبليس، لكنه يشاركها أصل تحويل الصفة إلى امتياز أخلاقي مطلق. وإذا كان الكتاب يبحث في عالم الجن، فإن هذا الفصل يعيد القارئ إلى نفسه: ما الذي يصنعه بما يعرف؟ وهل يزيده العلم استعداداً للحق، أم يزيده مهارة في تبرير ما يريد؟

إحالات الفصل: القرآن الكريم، ص ٧٥-٧٦؛ الأعراف ١٢. الكليني، الكافي، ج ١، كتاب فضل العلم، باب البدع والرأي والمقاييس، الحديثان ١٨ و ٢٠، ص ٥٨. المجلسي، مرآة العقول، ج ١، ص ١٩٩-٢٠١؛ الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ٢، ص ١٥٠، الترجمة ٦٤٨؛ الجواهري، المفيد من معجم رجال الحديث، ترجمة أحمد بن عبد الله بن العقيلي، بالأرقام المتقابلة ٦٤٨/٦٤٥/٦٤٦؛ انظر المدخل العاشر من سجل الروايات.

الفصل ١١ — اللعنة والإنظار: العداوة المؤجلة

طلب البقاء

﴿قَالَ فَانْخُرْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾

سُورَةُ الْحَجَرِ، الآيَةُ ٣٤.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾

سُورَةُ الْحَجَرِ، الآيَةُ ٣٥.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعُثُونَ﴾

سُورَةُ الْحَجَرِ، الآيَةُ ٣٦.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾

سُورَةُ الْحَجْرِ، الآيَةُ ٣٧.

﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾

سُورَةُ الْحَجْرِ، الآيَةُ ٣٨.

لا تساوي الاستجابة بالإمهال رضا الله عن المعصية. فقد اجتمع في السياق الطرد واللعنة والإنظار، فظهر أن امتداد العمر لا يكون بذاته علامة قرب أو كرامة.

ويطلب إبليس الإمهال إلى يوم البعث، بينما يأتي الجواب متعلقاً بيوم الوقت المعلوم. ومن أمانة القراءة ألا نخو هذا الفرق قبل البحث في التفسير. وسنعود في باب الآخرة إلى الروايات المختلفة في تعيين ذلك الوقت.

مشروع الإغواء وحدوده

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

سُورَةُ الْحَجْرِ، الآيَةُ ٣٩.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾

سُورَةُ الْحَجْرِ، الآيَةُ ٤٠.

﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾

سُورَةُ الْحَجْرِ، الآيَةُ ٤١.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾

سُورَةُ الْحَجْرِ، الآيَةُ ٤٢.

يعرض إبليس عزمه، ويأتي الجواب ليقرر حدود سلطانه. فلا ينشأ من وعيده نظام وجود يقهر كل إنسان على الضلال، ولا يكون المكلف مجرد ساحة بلا إرادة.

وتختلف عبارة إبليس عن الحكم الإلهي. إن قوله عن الإغواء يحكي موقفه، ولا يجعل كل تفسير يضعه لأفعاله وصفاً يقره الله. وهذه قاعدة في قراءة الحوارات القرآنية: يثبت القرآن أن المتكلم قال، ثم ننظر في سياق القول لفهم موقعه من الحق.

زمن للعمل لا زمن مضمون

يدعو الإمهال القارئ إلى التفكير في استعمال الوقت. قد تُتاح للمخلوق فرصة، فيتخذها وسيلة إلى مزيد من العناد. وليس امتداد قدرته دليلاً على أن عاقبته ستكون كما يريد.

تنتهي المرحلة إلى عداوة معلنة، لكن الباب لا يغلق على الإنسان. سيأتي الهدى، وستبقى مسؤوليته قائمة، وسيظل الرجوع إلى الله ممكناً ما دام في زمن التكليف.

إحالات الفصل: القرآن الكريم، الحجر ٣٤-٤٢؛ ص ٧٧-٨٥؛ الأعراف ١٤-١٨. وانظر الفصل ٥٢ بشأن الوقت المعلوم.

الفصل ١٢ — آدم وحواء ووسوسة الشيطان

الوعد الذي لبس صورة النصح

﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِمِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾

سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية ٢٠.

﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾

سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية ٢١.

﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ^ج فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ^ط وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية ٢٢.

يذكر النص الوسوسة للاثنيين، والقسم لهما، والنتيجة التي ظهرت لهما. فلا يحمل الكتاب المرأة وحدها مسؤولية القصة، ولا يستورد إليها صورة تجعل حواء أصل كل خطأ بشري.

وفي سورة طه يبرز الوعد بالخلود والملك:

﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبُلَىٰ﴾

سُورَةُ طه، الآية ١٢٠.

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ^ج وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾

سُورَةُ طه، الآية ١٢١.

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾

سُورَةُ طه، الآية ١٢٢.

يربط المشهد بين الإغراء والنتيجة، ثم يفتح باب الاجتباء والتوبة والهداية. ولا يختزل آدم في لحظة الأكل، كما لا يقف عند لفظ يقتطع من سياقه ويجعل وحده أساساً للحكم على مقام النبوة.

قراءة القصة في ضوء العصمة

يقوم منهج هذا الكتاب على تنزيه الأنبياء عليهم السلام عن المعصية المذمومة. وفي تفسير قصة آدم اتجاهات إمامية تميز بين الأمر الإلزامي وغيره. وقد بين الشريف المرتضى في «تنزيه الأنبياء» أن مخالفة المندوب يمكن أن توصف بالمخالفة مع كونها تركاً للفضل، لا فعلاً للقبیح.

أعرض هذا بوصفه توجيهاً كلامياً منسوباً إلى صاحبه، لا بوصفه لفظ الآية نفسها. كما لا أجمع جميع التوجيهات المختلفة في تفسير واحد وأدعي اتفاق العلماء على تفاصيله.

ما لا يقوله النص

لا تسمي الآيات الشجرة تفاحة، ولا تجعل الحية وسيطاً لازماً لدخول إبليس، ولا تفصل كيفية وصول صوته إليهما. لهذه التفاصيل، حيث تُروى، بحث آخر. وما يثبت في القرآن يكفي لفهم أسلوب الخداع: إعادة وصف الممنوع على أنه طريق إلى خير مرغوب.

وتبقى النهاية على خلاف اختيار إبليس. يفتح الله لآدم طريق التوبة والهداية، بينما يصر إبليس على تحويل خطئه إلى مشروع إضلال. وفي هذا الفرق يبرز معنى الرجوع بدل الإصرار.

إحالات الفصل: القرآن الكريم، الأعراف ١٩-٢٣؛ طه ١١٥-١٢٣؛ البقرة ٣٥-٣٩. الشريف المرتضى، تنزيه الأنبياء، مبحث تنزيه آدم، المسألة المتعلقة بظه ١٢١.

الفصل ١٣ — ذرية إبليس وقبيله وجنوده

ما يثبت وما لا يتعين

أثبتت آية الكهف ذرية لإبليس، وورد ذكر قبيله في سورة الأعراف:

﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِرَهُمَا ۖ إِنَّهُ يَرَائِكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

سورة الأعراف، الآية ٢٧.

يتعلق الخطاب بتحذير بني آدم من الفتنة، ولا يعطينا تشريحاً لتكاثر إبليس أو عدد ذريته أو أعمارها. كما لا يدل خفاء إبليس وقبيله عن الإنسان على أنهم يعلمون كل ما في قلبه أو كل ما يحدث بعيداً عنهم.

ومن السهل أن تتسع قائمة الأسماء في الحكايات، فيختص اسم بالنوم وآخر بالغضب وآخر بالأسواق. لكن تخصيص الوظائف على هذا الوجه يحتاج إلى رواية لكل دعوى؛ فلا تُجمع الأسماء من مصادر متفاوتة ثم تعرض تحت عنوان واحد يوهم الصحة.

جنود الإضلال

﴿وَأَسْتَفْزِزُ مَنِ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمُ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدُّهُمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ، الْآيَةُ ٦٤.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ، الْآيَةُ ٦٥.

تعدد الآية صور الاستفزاز والمشاركة والوعد، ثم تقرر الحماية من السلطان على عباد الله. وقراءة هذه الصور لا تبيح نسب كل مال أو ولد أو صوت إلى الشيطان؛ العبرة بسياق استعمالها في المعصية والإغواء كما يبينه التفسير.

وقد يكون للشيطان أعوان من البشر، فتتسع المسؤولية عن طريق الفعل لا عن طريق مادة الخلق. من يزين ظلماً أو يبيع كذباً أو يستغل خوفاً يسهم في الإضلال، ولا يعفيه أن يلقي التبعة على عالم لا يراه.

نهاية باب وبداية مسار

تضع قصة إبليس أمامنا عدواً معلوم الاتجاه محدود القدرة. وفي المقابل تظل هداية الجن والإنس ممكنة، ويستمر إرسال الرسل وبيان الحق. ومن هنا ينتقل الكتاب من قصة الرافض إلى السؤال عن وصول الرسالة إلى من استجاب.

إحالات الفصل: القرآن الكريم، الكهف ٥٠؛ الأعراف ٢٧؛ الإسراء ٦٤-٦٥؛ الأنعام ١١٢. تُبحث أسماء الذرية المنقولة في معجم الأسماء دون تصحيح جماعي لها.

الباب الثالث — الجن في عصور الأنبياء قبل الرسالة الخاتمة

إذا كان الجن مخاطبين بالعبادة، فإن السؤال عن هدايتهم جزء من السؤال عن عدل التكليف. غير أن النصوص لا تقدم سيرة متصلة لكل أمة منهم في كل عصر. نقرأ ما وصل، ونصل بين دلالاته، ونترك الفجوات ظاهرة حين لا نملك ما يملؤها.

الفصل ١٤ — هداية الجن: التكليف والحجة والإنذار

خطاب المسؤولية

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾^ج
سُورَةُ الْأَنْعَامِ، الْآيَةُ ١٣٠.

يتوجه السؤال إلى الجن والإنس مجتمعين، ويربط الحساب بالآيات والإنذار. وبذلك لا يكون مصيرهم واقعة منفصلة عن المعرفة والعمل. لكن صيغة الخطاب لا تعين وحدها أسماء الرسل ولا تفصل طريقة البلاغ في كل عصر.

وقد عرض الطبرسي في «مجمع البيان» أقوالاً في معنى كون الرسل منهم: منها حمل الخطاب على المجموع مع كون الرسل من الإنس، ومنها القول بوجود رسل إلى الجن من جنسهم، ومنها التفريق بين رسل الإنس ومنذري الجن. وورود هذه الأقوال في تفسير إمامي لا يحول جميعها إلى أحاديث عن أهل البيت؛ بعضها منقول عن مفسرين بأسمائهم.

الفرق بين الرسالة ونقلها

في سورة الأحقاف يرجع المستمعون إلى قومهم منذرين. هذا نص في فعل الإنذار، ولا يلزم منه منح كل واحد منهم مقام النبوة. فقد يحمل المؤمن رسالة الرسول إلى غيره من غير أن يصبح نبياً. ويترب على هذا التفريق ألا نصنع قائمة «أنبياء الجن» من أسماء قيل إنها أسماء الوفد، أو من كل شخصية نسبت إليها الدعوة. كما لا نلغي أصل بلوغ الحجة لأن طريقة البلاغ لا تتضح لنا في جميع الأزمنة.

إن المعنى الذي يجمع هذه النصوص هو عدالة الخطاب ومسؤولية الاستجابة. وتظل التفاصيل المتعلقة بشرائع الجن وعباداتهم رهينة ما يثبت، فلا ننقل إليهم كل جزئية من حياة الإنسان لجرد اشتراكه معهم في أصل التكليف.

إحالات الفصل: القرآن الكريم، الأنعام ١٣٠؛ الأحقاف ٢٩-٣٢؛ الذاريات ٥٦. الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الأنعام ١٣٠، عرض الأقوال في «رسل منكم».

الفصل ١٥ — من آدم إلى نوح: الأخبار الأولى وحدود التسلسل

بين القصة القرآنية والتاريخ المنقول

تبدأ صلة إبليس بآدم في القرآن واضحة، لكن الفترة الممتدة من آدم إلى نوح لا تُعرض فيه بوصفها تاريخاً مستقلاً لأمم الجن. ولا يدل هذا السكوت على عدم وجودهم أو عدم تكليفهم، كما لا يسمح لنا باختراع أسماء من تولوا أمرهم في تلك الأجيال.

ومن الأخبار التي تصل هذه المراحل خبر «هام بن هيم بن لاقيس بن إبليس»، الذي ينقله المجلسي عن تفسير القمي. يحكي الخبر طول عمره، ومشاهدته وقائع من عهد ابني آدم، ثم توبته على يد نوح

ولقاءه أنبياء لاحقين. وهذه سيرة واسعة جداً في خبر واحد، تستلزم فحص المصدر والطريق واللفظ قبل اعتمادها عموداً للتاريخ.

وسنعرض الاسم في فصل أخبار السيرة ومعجم الشخصيات. أما هنا فلا نجعل العمر الوارد فيه برهاناً على أعمار جميع الجن، ولا نقبل النسب والتسلسل الزمني لمجرد أن الخبر يربط الأزمنة ربطاً جذاباً.

نوح وإبليس في أخبار الموعظة

ورد في «الخصال» عن الإمام الصادق عليه السلام خبر لقاء إبليس بنوح بعد النزول من السفينة، وفيه تحذير من الحسد والحرص. موضعه أبواب الاثنين، تحت عنوان «خصلتان ذكرهما إبليس لنوح»، الحديث ٦١ في النسخة المقابلة، ص ٥٠-٥١. ويسوقه الصدوق عن أبيه، وينتهي الطريق بالعلاء بن سيابة عن الإمام. نبه المحقق عند اسم الحسن بن علي إلى زيادة «عن عمر» في النسخ، ورأى أنها زائدة بمقابلة طريق العلاء في شرح المشيخة. أثبت هذه الملاحظة لأنها تمس صورة السند نفسها؛ فلا أكتفي بنقل آخره وأتعامل مع بقية الطريق كأنها خالية من البحث.

ويجب عند قراءته التفريق بين كلام يحكيه الخبر على لسان إبليس وبين حكم نبوي أو إلهي. فدعوى إبليس أنه استفاد من دعاء نوح لا تجعل دعاء النبي خدمة للشيطان، ولا تنقض ما يبينه القرآن من طول الإنذار وفساد قوم نوح.

حق الفجوة في أن تبقى فجوة

لا تتوافر في المادة المثبتة هنا سلسلة أسماء كاملة توصل كل جيل من الجن بالذي يليه. أذكر هذا الحد بدل تعويضه بقائمة غير موثقة. ويمكن للحكاية أن تظل متصلة في معنى الهداية، وإن بقي بعض تاريخها التفصيلي غير معلوم.

إحالات الفصل: الصدوق، الخصال، أبواب الاثنين، «خصلتان ذكرهما إبليس لنوح»، الحديث ٦١، ص ٥٠-٥١، بتصحيح علي أكبر الغفاري؛ تنبيه المحقق على زيادة «عن عمر» في حاشية ص ٥٠.

المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ١٤-١٦، نقلاً عن تفسير القمي في خبر هام. لم تعتمد تفاصيل هذه الرواية الطويلة تاريخاً ثابتاً، ولتمييزها عن الطريق الثاني عشر في بصائر الدرجات، انظر الفصل ٢٦.

الفصل ١٦ — من إبراهيم إلى موسى وعيسى: الجن والرسالات

آثار متفرقة في مشاهد مختلفة

ترد في القرآن صلة الشيطان بقصص عدد من الأنبياء، لكن ذكر الشيطان لا يساوي تقديم تاريخ الجماعات الجن في عهد كل نبي. يقول إبراهيم لأبيه:

﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾

سُورَةُ مَرْيَمَ، الآية ٤٤.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾

سُورَةُ مَرْيَمَ، الآية ٤٥.

يتعلق الخطاب بالعبادة والاتباع والولاية، ولا يشترط أن يكون الأب قد رأى شيطناً أو عرف اسمه. فالطاعة في الباطل قد تحقق معنى الاتباع دون لقاء محسوس.

ويقول يوسف في ختام قصته:

﴿وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

سُورَةُ يُوسُفَ، الآية ١٠٠.

يسمى يوسف النزع بينه وبين إخوته، ثم يرد الفضل إلى الله. ولا تحو الإشارة إلى الشيطان اختيارات الإخوة أو مسؤوليتهم، مثلما لا تتحول إلى اسم جني معين لم يذكره النص.

أيوب وحدود فهم المس

﴿وَإِذْ كُنَّا عَبْدًا لَّيُوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾

سُورَةُ ص، الآية ٤١.

تثبت الآية هذا النداء، لكن طبيعة النصب والعذاب وكيفية اتصال الشيطان بهما لها بحث تفسيري. ولا يجوز أن نقل من قصة نبي محفوظ المقام إلى اتهام كل مريض بمس الجن، أو أن نستنتج سلطاناً على إيمانه وعقله لم تدل عليه الآية.

الكتاب المنزل بعد موسى

في خطاب الجن بسورة الأحقاف إشارة إلى كتاب أنزل من بعد موسى. تدل العبارة على معرفة هؤلاء بمرجعية سابقة، لكنها لا تقدم سجلاً كاملاً لمراحل انتقالهم بين الشرائع، ولا تكفي لإثبات أنهم لم يعرفوا عيسى أو الإنجيل.

وترد في خبر هام المذكور في الفصل السابق صلات إبراهيم وموسى وغيرهما. أبقيا ضمن روايتها ومرتبتهما، ولا أستعملها لإثبات لقاءات مستقلة بمجرد تكرارها في كتب جامعة.

تنقلنا هذه النصوص إلى سليمان، حيث تتسع المادة القرآنية المتعلقة بالجن وتصبح صلتهم بالنبي ظاهرة في نظام ملكه.

إحالات الفصل: القرآن الكريم، مريم ٤٤-٤٥؛ يوسف ١٠٠؛ ص ٤١؛ الأحقاف ٣٠. ولصلة النسيان بالشيطان في خبر فتى موسى: الكهف ٦٣، مع ضرورة قراءة معنى النسبة في سياقه.

الفصل ١٧ — سليمان وتسخير الجن: ملك بقدرة الله

دعاء وهبة

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾
سُورَةُ ص، الآية ٣٥.

﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾
سُورَةُ ص، الآية ٣٦.

﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾
سُورَةُ ص، الآية ٣٧.

﴿وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾
سُورَةُ ص، الآية ٣٨.

﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾
سُورَةُ ص، الآية ٣٩.

يبدأ المشهد باستغفار ودعاء، ثم يأتي التسخير هبة من الله. ولا يتحول سلطان سليمان إلى قوة ذاتية تغنيه عن ربه، أو إلى طريق مفتوح لكل من يجمع رموزاً ويزعم أنه ورث سراً. ويقول تعالى:

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾
سُورَةُ النمل، الآية ١٧.

يظهر الجن هنا ضمن جنود متنوعين في ملك نبي، لا بوصفهم قوة منفلة ينازع بها الخالق. ويؤكد سياق التسخير معنى الإذن والضبط، ولذلك لا يقرأ الكتاب هذه القصة دليلاً عاماً على مشروعية محاولات استحضار الجن.

نبوة لا حيلة سحرية

ستأتي في فصل السحر آية البقرة التي تنفي الكفر عن سليمان وترد تعليم السحر إلى الشياطين. وهي تمنع أن تستبدل صورة النبي بصورة ساحر أعظم. فالكتاب يقرأ قدرته داخل الوحي والمعجزة والهبة، لا داخل وصفات يمكن تعميمها على الآخرين.

ولا تُستكمل القصة بخاتم يُحكم به على مصير النبوة أو بشيطان يستولي على مقامها دون تحقيق ما يروى في ذلك. فالرواية التي تلمس عصمة النبي أو أمانة الرسالة لا تُقبل لمجرد قدم الحكاية أو شهرتها.

وجه الحكاية

نعرف في هذا الفصل إلى اجتماع القدرة والعبودية. وسنرى في الفصلين التاليين العمل والمبادرة، ثم تنتهي قصة سليمان بحد لا تتجاوزه تلك القدرة: الجن الذين يعملون لا يملكون علم الغيب.

إحالات الفصل: القرآن الكريم، ص ٣٥-٤٠؛ النمل ١٧؛ سبأ ١٢؛ البقرة ١٠٢. تُقرأ أخبار الخاتم والفتنة في ضوء تنزيه الأنبياء، ولا تثبت هذه النسخة تفاصيلها المتداولة.

الفصل ١٨ — البناؤون والغواصون: الجن في أعمال سليمان

أعمال مرئية في خطاب القرآن

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوهاَ شَهْرٌ وَرَوَّاحُهاَ شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۚ وَمَن يَزِغْ مِنْهُم عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾

سُورَةُ سَبَأٍ، الآيَةُ ١٢.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ^جاعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾

سُورَةُ سَبَأٍ، الآيَةُ ١٣.

يجمع النص تسخير الريح وإسالة عين القطر وعمل الجن، ثم يبين نماذج مما يصنعون، ويختم بدعوة آل داود إلى الشكر. فالمشهد لا يقف عند الإعجاب بقدرة خارقة؛ يعود إلى استعمال النعمة.

ويقول تعالى:

﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ ^طوَكَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ، الآيَةُ ٨٢.

تذكر الآية الغوص وأعمالاً أخرى، وترد حفظهم إلى الله. ولا تفصل طبيعة كل عمل، فلا يملأ الكاتب هذا الإجمال بتقنيات من تصوره أو بأسماء معادن وآلات لم يذكرها دليل.

ألفاظ العمران

تحتاج المحارِبِ والتماثيل والجفان والقُدُور إلى قراءة لغوية وسياقية. وليس كل لفظ فيها مطابقاً لاستعماله الشائع اليوم؛ فالمحارب لا ينحصر في التجويف المعروف في المساجد، والجفان والقُدُور تعرضان صورة السعة في العمل والمعيشة.

أما استنباط الأحكام الفقهية المتعلقة بالتماثيل في الشريعة الخاتمة فبحث آخر، لا يحسمه نقل لفظ في وصف شريعة سابقة. ويظل المقصود هنا بيان ما حكاه القرآن عن أعمالهم في ملك سليمان.

القدرة تحت الأمر

لا يصح أن نستنتج من وجود هذه الأعمال أن كل جني قادر على كل صناعة، أو أن كل بناء عظيم مجهول الطريقة صنعه الجن. يحدد النص عملاً مسخرين في واقعة خاصة، ويبقى التاريخ المادي للأبنية موضوعاً يحتاج إلى أدلته.

ويكتمل معنى العمل بالشكر؛ فكل اتساع في القدرة يدعو إلى الاعتراف بالمنعم، ولا يمنح صاحبه رخصة للغرور.

إحالات الفصل: القرآن الكريم، سبأ ١٢-١٣؛ الأنبياء ٨٢؛ ص ٣٧-٣٨.

الفصل ١٩ — العفريت وعرش ملكة سبأ

عرضان في مجلس واحد

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾

سُورَةُ النَّمْلِ، الآية ٣٨.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ^ط وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾

سُورَةُ النَّمْلِ، الآية ٣٩.

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ^ج فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ^ط وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ^ط وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾

سُورَةُ النَّمْلِ، الآية ٤٠.

يتقدم العفريت بعرضه، ثم يأتي عرض الذي عنده علم من الكتاب، وينتهي المشهد بشكر سليمان. هذه الحركة المتتابعة تحفظ الفرق بين الشخصيتين، ولا تسمح بدمجهما أو نسبة إحضار العرش في خاتمة المشهد إلى العفريت وحده.

ولم يسم القرآن العفريت، كما لم يصرح باسم صاحب علم الكتاب في هذه الآيات. والأسماء التي ترد في التفاسير والروايات، ومنها آصف بن برخيا لصاحب العلم، توضع في مرتبتها التفسيرية والروائية، ولا تدرج داخل النص القرآني.

ما الذي تكشفه المبادرة؟

يصف العفريت نفسه بالقوة والأمانة على المهمة. ولا نستنتج من ذلك شهادة مطلقة على كل أحواله، أو أن لقب العفريت يدل وحده على الكفر؛ السياق يتعلق بعرض محدد وقدرة محددة. وأما كيفية إحضار العرش، فلا تفصلها الآيات تفصيلاً فيزيائياً. فلا يلزمنا أن نخترع مساراً للانتقال أو نظرية في طي المكان، كما لا يصح أن نجعل خفاء الكيفية سبباً لإلغاء ما يحكيه النص.

حين يرجع الفضل إلى الله

المركز الأخلاقي للمشهد في قول سليمان إن ما رآه من فضل ربه واختبار له في الشكر. وهنا يتغير اتجاه النظر: من السؤال عمن يملك الأسرع إلى السؤال عما يصنعه الإنسان بما يراه من فضل.

إحالات الفصل: القرآن الكريم، النمل ٣٨-٤٠. التسمية الروائية لصاحب علم الكتاب تحتاج إلى مقابلة طرقها في بحثها المختص، ولا يُنسب الاسم إلى القرآن.

الفصل ٢٠ — موت سليمان: حين انكشف جهل الجن بالغيب

المشهد الأخير

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾

سُورَةُ سَبَأٍ، الآيَةُ ١٤.

تضع الآية نهاية قصة التسخير أمام حد المعرفة. فقد استمر الجن في العمل، ولم يدلهم على الموت إلا أثر دابة الأرض في العصا ثم سقوط سليمان. وتأتي العبرة مصرحاً بها: لو كانوا يعلمون الغيب لما لبثوا في ذلك العذاب.

ولا يذكر النص في هذه الآية مدة اللبث، ولا يحكي ما دار بين كل جماعة منهم. لذلك لا تتحول المدد المنقولة في بعض التفاسير إلى جزء من الآية، ولا نجعلها أساساً لإثبات أعمارهم أو نظام حياتهم.

القدرة لا تساوي الإحاطة

كانوا قادرين على أعمال شاقة، ومع ذلك غاب عنهم أمر قريب من موضع عملهم. وتكشف القصة خطأ قياس العلم على القوة: من يقدر على الحركة أو الصناعة لا يصير عالماً بكل ما خفي.

ولا يعني ذلك أنهم لا يعرفون أي خبر يغيب عن بعض البشر؛ فقد يعلم مخلوق شيئاً بالمشاهدة ويجهله غيره. المقصود نفي العلم بالغيب الذي يُتوهم لهم على وجه الإحاطة والاستقلال، وفحص سبب كل معرفة مدعاة.

ما بعد سليمان

لا يقدم القرآن سيرة تفصيلية لجميع الجن بعد موته. وتبقى أخبار إطلاقهم أو تفرقهم أو انتقال أدوات الملك بحاجة إلى مصادرها الخاصة. ينتهي هنا ما اتسع عرضه في القرآن عن ملك سليمان، وتستمر الحكاية إلى قوم سيعرفون الحق حين يسمعون كتاباً يهدي إلى الرشد.

إحالات الفصل: القرآن الكريم، سبأ ١٤. ولحدود إظهار الغيب: الجن ٢٦-٢٨. لا تعتمد هذه النسخة مدة زمنية معينة للبث الجن بعد موت سليمان.

الباب الرابع — الجن والرسالة المحمدية

الفصل ٢١ — قبيل البعثة: السماء واستراق السمع

خبر يرويه المستمعون

قبل أن نقرأ خبر الوفود، نسمع الجن وهم يصفون ما طرأ على محاولتهم استراق السمع:

﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَابًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الآية ٨.

﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ^ط فَفَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الآية ٩.

﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرَ أُرِيدَ بِنِّ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الآية ١٠.

المشهد يروى هنا بلسانهم. كانوا يطلبون موضعاً للسمع، ثم وجدوا الحراسة والشهب. ومع ذلك لم يدعوا أنهم عرفوا وجه التدبير الإلهي؛ بل صرّحوا بأنهم لا يدرون ما أريد بأهل الأرض. هذا الإقرار جزء من الحكاية، وهو يناقض صورة الكائن الذي يملك جواباً عن كل غيب.

السمع ليس علم الغيب

تذكر سورة الصافات حفظ السماء من الشيطان المارد:

﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾

سُورَةُ الصَّافَّاتِ، الآية ٦.

﴿وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾

سُورَةُ الصَّافَّاتِ، الآية ٧.

﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾

سُورَةُ الصَّافَّاتِ، الآية ٨.

﴿دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾

سُورَةُ الصَّافَّاتِ، الآية ٩.

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾

سُورَةُ الصَّافَّاتِ، الآية ١٠.

ينبغي التمييز بين خبر الوحي عن هذا الحفظ، وبين ما يدرسه الفلك من الأجرام والظواهر المشاهدة. لا تمنحنا هذه الآيات تفصيلاً تجريبياً عن هيئة الجن أو مسار حركتهم، ولا تبيح أن نفسر كل ظاهرة مضيئة يراها إنسان بأنها مطاردة لجني بعينه. كما لا يصح قلب المشهد إلى إقرار بصدق الكهان؛ فالمحاولة المقيدة والمطاردة ليست علماً محيطاً مأموناً من الكذب.

وفي تفسير آيات الاستماع أخبار تربط خروج نفر من الجن بطلب سبب التغير الذي وجدوه، ثم سماعهم قراءة النبي صلى الله عليه وآله. نقرأ هذا الربط في سياق الرواية التفسيرية، ونحفظ الفرق بينه وبين القدر المصرح به في الآيات.

مصادر الفصل: القرآن الكريم؛ الطبرسي، مجمع البيان، تفسير سورة الجن، الآيات ٨-١٠، وتفسير سورة الأحقاف، الآية ٢٩.

الفصل ٢٢ — رسالة إلى العالمين

بلوغ الحجة

لم يكن وصول القرآن إلى الجن حادثة خارجة عن معنى الرسالة. إنهم مخلوقون مكلفون، والنص يعرض استجابتهم بوصفها إيماناً وهداية وإنذاراً، لا مجرد دهشة أمام صوت جميل:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانُ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾

سُورَةُ الْفُرْقَانِ، الآية ١.

وفي سورة الجن، يتحدد موقف الرسول من ربه ومن الناس ومن تبعة البلاغ:

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الآية ١٩.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الآية ٢٠.

﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الآية ٢١.

﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الآية ٢٢.

﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ^ج وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الآية ٢٣.

لا تمنح الرسالة صاحبها ملكاً مستقلاً للنفع والضرر، ولا تجعل حاملها شريكاً لله. هو عبد الله ورسوله، يدعو ويبلغ عنه. وفي هذا تصحيح مبكر لكل علاقة بالجن يراد لها أن تتخذ طريقاً إلى الاستغناء عن الله أو إلى صناعة سلطة دينية سرية خارج الوحي.

السامعون يحملون ما سمعوا

القرآن في خبر الجن مسموع ومفهوم ومؤثر؛ ثم يصير ما فهموه دعوة إلى قومهم. وبهذا تنتقل الحكاية من لحظة اتصال عجيبة إلى مسؤولية مألوفة في جوهرها: من عرف الحق صار مطالباً بحسن عمله. لا نحتاج إلى تخيل ألفاظ لم ينقلها النص لكي نشعر بعظمة هذا التحول.

وحين تذكر كتب التفسير لقاءات وتعليماً وسؤالاً، فإن أصل إمكان وصول البيان إليهم ثابت بالقرآن. أما تفاصيل كل مجلس، ومكانه، وأسماء حاضريه، فتظل محتاجة إلى مستنداتها الخاص، لا يكفي ثبوت الأصل لإثبات كل ما ألحق به.

مصادر الفصل: القرآن الكريم، سورة الفرقان وسورة الجن؛ وتراجع روايات الاستماع في مجمع البيان عند الأحقاف: ٢٩.

الفصل ٢٣ — ليلة الإصغاء: نفر يستمعون القرآن

من الإنصات إلى الإنذار

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ﴾

سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية ٢٩.

﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية ٣٠.

﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية ٣١.

﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية ٣٢.

في هذه الآيات أربع حركات واضحة: صرف النفر إلى النبي، ثم حضورهم وإنصاتهم، ثم رجوعهم إلى قومهم، ثم دعوتهم إلى إجابة داعي الله. وبين الإنصات والإنذار تتكون شخصية المؤمن الذي لا يحتفظ بالهداية لنفسه.

لفظة «أنصتوا» قصيرة، ولكنها تحفظ للمشهد أدبه. لم يبدأ الحاضرون بادعاء المعرفة السابقة، بل أصغوا. ثم وصفوا الكتاب بما أدركوه من تصديقه للحق وهدايته إلى طريق مستقيم. وفي دعوتهم ذكر المغفرة والنجاة، وفي تحذيرهم بيان أن الفرار لا يعجز الله.

ما حفظه النص وما تركه

لا تسمي الآيات أفراد هذا النفر، ولا تعين عددهم، ولا تذكر بلدهم. ولا تنقل محاورة طويلة بينهم وبين النبي في هذا الموضع. ما نجده من تعيينات في الروايات يضاف إلى سجل الأخبار، لا إلى ألفاظ القرآن.

وجاء في خطابهم ذكر كتاب أنزل من بعد موسى. فهذا هو القول الذي ينقله النص، أما بناء تاريخ مفصل لمذاهب جميع الجن، أو الجزم بأنهم لم يعرفوا رسالة عيسى عليه السلام، فيحتاج إلى دليل زائد. وقد عرض المفسرون وجوهاً لفهم تخصيص موسى بالذكر، فلا يصح محو هذا الاختلاف ثم تقديم أحد الوجوه بوصفه خبراً صريحاً.

أحب في هذا المشهد أن بدايته هادئة ونهايته عاملة. قوم يستمعون، فيرجعون يحملون مسؤولية. وهذه هي النقلة التي أرجو أن تحدثها القراءة فينا: أن تزيدنا معرفة، ثم تجعل لهذه المعرفة أثراً في العدل والخشية وحسن الخطاب.

مصادر الفصل: القرآن الكريم؛ الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الأحقاف: ٢٩-٣٢.

الفصل ٢٤ — سورة الجن: شهادة من داخل العالم الغائب

تصحيح الاعتقاد

سبق في المقدمة نص الآيتين الأولى والثانية، وفي باب الخلق بيان اختلاف الطرائق. ونواصل هنا الاستماع إلى الشهادة نفسها:

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الآية ٣.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِينًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الآية ٤.

﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنَّ لَنَ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الآية ٥.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الآية ٦.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنَّ لَنَ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الآية ٧.

في هذه الكلمات تنزيه لله، ومراجعة لما قيل عليه، واعتراف بأن بعضهم كان يصدق قول الإنس والجن من غير تحقق. فالخفاء عن أبصارنا لم يعصمهم من خطأ الاعتقاد، ولم يغنهم عن الوحي. وتجيء آية الاستعاذة بالجن في سياق هذا التصحيح. أما تعيين جميع صورها وأحكامها فلا يؤخذ من صورة شعبية واحدة؛ سيعود الكتاب إلى هذا الباب عند بحث العلاقة بين العالمين.

الإيمان والمسؤولية

﴿وَأَنَا ظَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الْآيَةُ ١٢.

﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ^طفَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الْآيَةُ ١٣.

﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَ الْقَاسِطُونَ ^طفَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الْآيَةُ ١٤.

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الْآيَةُ ١٥.

﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الْآيَةُ ١٦.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ^جوَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الْآيَةُ ١٧.

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الْآيَةُ ١٨.

المسلم والقاسط وصفان يتعلقان بالموقف من الهدى والعدل، ولا يجوز تحويلهما إلى نسب موروث يحكم على أفراد لم نعرفهم. والرزق نفسه امتحان، فلا يكون التوسع فيه برهاناً مستقلاً على الاستقامة. تضع السورة كذلك العبادة في مركزها: المساجد لله، فلا يدعى معه أحد. هكذا تقودنا حكاية الجن إلى توحيد الله، لا إلى الانشغال باسترضاء سكان الخفاء.

خاتمة السورة وحدود العلم

﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْأَلُونَ مَنْ أَعْزَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الآية ٢٤.

﴿قُلْ إِنْ أَذْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الآية ٢٥.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الآية ٢٦.

﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الآية ٢٧.

﴿لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾

سُورَةُ الْجِنِّ، الآية ٢٨.

لا يبني النص معرفة الغيب على قدرة الكائن الخفي، بل يردّها إلى الله، ويذكر ما يطلع عليه من ارتضى من رسول ضمن حفظ الرسالة. ولذلك لا يصح اتخاذ السورة شاهداً على أن كل جني يعلم المستقبل، أو أن الاتصال المزعوم به يفتح باباً مأموناً إليه.

وتجتمع في السورة أصوات ومعانٍ تتطلب قراءة متصلة: حديث المستمعين، والأوامر الموجهة إلى النبي، وبيان العاقبة وحفظ البلاغ. ولمن أراد ضبط انتقال الكلام ومراجع الضمائر أن يرجع إلى التفاسير؛ أما هنا فالمقصد أن تبقى الوحدة الأخلاقية ظاهرة: تصديق بعد سماع، وتوحيد بعد خطأ، ومسؤولية بعد بيان.

مصادر الفصل: سورة الجن كاملة، مع توزيع بعض آياتها على مواضعها الموضوعية في الكتاب؛ الطبرسي، مجمع البيان، تفسير السورة.

الفصل ٢٥ — وفود الجن: بين أصل اللقاء وتعدد الروايات

روايات لا تتطابق في كل تفصيل

جمع الطبرسي عند آية الاستماع من سورة الأحقاف أخباراً متعددة: سماع القرآن في بطن نخلة، وخبر مسير النبي بعد الطائف، وأخباراً عن ليلة الجن وما قيل في صحبة ابن مسعود. ومن هذه الأخبار ما يذكر حضوره، ومنها ما يروى عنه أنه لم يكن مع رسول الله تلك الليلة.

لا يعالج الباحث هذا الاختلاف بكتابة مشهد واحد يضم كل جزئية على أنها وقعت في ساعة واحدة. قد تتعدد الوقائع، وقد تختلف طرق النقل، وقد يكون في بعض الأخبار ضعف أو اضطراب؛ لكن احتمال تعدد اللقاءات لا يعين لنا وحده تاريخ كل خبر ولا يثبت جميع التفاصيل.

كيف نروي اللقاء؟

نبدأ بالقدر القرآني المعلوم: استماع نفر وإيمانهم ورجوعهم منذرين. ثم ننسب الزيادة إلى قائلها: روي عن ابن عباس، أو نقل عن ابن مسعود، أو ذكر المفسر خبراً. وهذه النسبة ليست زينة توثيقية؛ إنها التي تمنع القارئ من الخلط بين أصل ثابت وتفصيل متفاوت.

ومن تفاصيل الأخبار ما يتعلق بطلب الزاد أو تعليم الدين أو قراءة القرآن. ولكل خبر منها طريقه، فلا تنشأ صحة السند من جاذبية المشهد. كما أن ورود الخبر في تفسير إمامي لا يجعل كل منقول فيه رواية عن إمام من أهل البيت؛ فالطبرسي يجمع أقوالاً وروايات من جهات مختلفة ويعرضها للقارئ. يبقى أثر هذه الوفود، في القدر الذي تثبته الأدلة، أثر انتقال إلى الهداية. لا تنتهي القصة عند الرؤية أو سماع صوت غريب؛ وإنما عند معرفة الحق وحمله.

مصادر الفصل: الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الأحقاف: ٢٩، وخاصة الأخبار المختلفة عن الاستماع وليلة الجن؛ وتفاصيل الأسانيد تحتاج إلى مراجعة أصول كل طريق، ولا يمنحها هذا الفصل حكم صحة جماعياً.

الفصل ٢٦ — الأسماء والبلدان: زوبعة وهام ونصيبين

الاسم جزء من الخبر

ينقل مجمع البيان عن زر بن حبیش خبر تسعة من جن نصيبين، فيهم زوبعة، ويورد إلى جانبه قولاً عن ابن عباس في عدد آخر. لذلك ثبت «زوبعة» اسماً وارداً في خبر تفسيري، ولا نزع أن القرآن ذكره، ولا نجعل اختلاف العدد اتفاقاً.

ونصيبين اسم مكان في هذه الأخبار، لا اسم جني. وكذلك ما ورد من نسبة نفر إلى اليمن أو نينوى يقرأ في موضعه، ولا تجمع النسب كلها في بطاقة تعريف واحدة من غير دليل. فقد تتعدد الجماعات والوقائع، وقد يقع اختلاف في نقل الواقعة الواحدة؛ والفصل بين الاحتمالين يحتاج إلى قرائن تتجاوز تشابه الحكاية.

هام بن هيم بن لاقيس

ورد في تفسير القمي عند الحجر: ٢٧ خبر طويل عن هام بن هيم بن لاقيس، يتضمن دعوى حياة امتدت إلى عصور أنبياء، ثم لقاء النبي صلى الله عليه وآله وتوجيهه إلى علي عليه السلام ليتعلم. ونقله تفسير الصافي في سياق النقل عن القمي. هذا النقل اللاحق لا يصنع وحده طريقاً مستقلاً.

غير أن مادة الخبر لا تختصر في هذين الكتّابين. ففي بصائر الدرجات للصفار، في باب إتيان الجن للأئمة وسؤالهم عن معالم الدين، ثلاثة مواضع متقاربة تتعلق بهام، بالأرقام ٨ و ١٢ و ١٣ في الباب من النسخة المقابلة. وحفظ هذه المواضع يمنع خطأ آخر: أن نختصر كل ما ورد في الشخصية في نقل واحد من غير أن نفحص الأسانيد.

يروى الموضع الثامن الخبر عن إبراهيم بن هاشم، عن إبراهيم بن إسحاق، عن عبد الله بن حماد، عن عمرو بن يزيد بياع السابري، عن أبي عبد الله عليه السلام. ويرد الموضع الثاني عشر من طريق إبراهيم بن هاشم، عن عمرو بن عثمان الخزاز، عن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام. أما الثالث عشر فن طريق إبراهيم بن هاشم، عن عمرو بن عثمان، عن الحسن بن محبوب، «عن رجل»، عن أبي عبد الله عليه السلام. فهذه طرق متفاوتة، ولا يجوز نقل إبهام الثالث عشر إلى الثاني عشر، أو عدّها تصحيحاً آلياً لجميع الأخبار.

وفي تقويم الطريق الثاني عشر، نصّ النجاشي على وثاقة عمرو بن عثمان الخزاز، وقرّر الخوئي وثاقة إبراهيم بن هاشم. كما بينّ الخوئي أن عمر بن يزيد عند الإطلاق ينصرف إلى بياع السابري المعروف الموثق، مع تمييزه من ابن ذبيان الصيقل. وبناءً على هذه المباني، تظهر لهذا الطريق جهة اعتبار من ناحية رجاله المذكورين واتصال صورته إلى الإمام. هذا استنتاج من مقابلة السند بالتراجم، وليس نسبة تصحيح لهذا الخبر بعينه إلى النجاشي أو الخوئي، ولا دعوى اتفاق جميع المناهج الرجالية عليه.

أما اسم إبراهيم بن إسحاق في الطريق الثامن، فيحتاج إلى تعيين قبل نقل حكم رجل إليه: يميز الجواهري بين الأحمرى النهاوندي الذي يضعفه، وابن أزور الذي يوثقه. وإحالة الاسم المجرد في بعض الأسانيد

إلى الأحمرى لا تبيح الخلط بين الرجلين. لذلك لا أجعل هذا الطريق أساساً لتصحيح التفاصيل الطويلة، وأبقى التعيين في حد ما تثبته قرائن الإسناد. وفي الطريق الثالث عشر يكفي إبهام الواسطة بعد الحسن بن محبوب لمنع وصف جميع رجاله بأنهم معلومو الحال.

ما تحفظه المقابلة

يتكرر في هذه النصوص طلب تعلم القرآن، لكن الخبر الثاني عشر لا يسوق تفصيل العمر الممتد منذ ابني آدم، ولا العتاب المنسوب إلى هام في حق نوح وهود، كما ورد في الرواية الطويلة. وتظهر صورة الاسم «هام» أو «هامة» في بعض المواضع. لذلك لا أختار من كل رواية أكثر تفصيلها إثارة ثم أجمعها في سيرة واحدة؛ فدراسة سند نص لا تمنح زيادات النصوص الأخرى مرتبته.

وفي بعض الألفاظ كلام تنسبه الشخصية إلى نفسها عن علاقتها بأنبياء سابقين. يبقى ذلك كلاماً داخل الخبر الذي نبحث ثبوته، ولا يصبح بمجرد روايته حكماً منا على مقامات الأنبياء. وبخاصة ما يتعلق بعتاب نبي أو ندمه، فإنه يحتاج إلى نظر في الثبوت والدلالة وموافقته لأصول التنزيه، ولا يستعمل لإثبات خطأ في تبليغ الأنبياء أو طاعتهم.

لا أبني على هذه المواد تقويماً لأعمار الجن، ولا أجعل الشخصية شاهداً تاريخياً مقطوعاً بصدقه على كل عصر تذكره الروايات الطويلة. وأحفظ للقارئ موضع كل خبر وصورته: طلب العلم وتعلم القرآن في النص الذي له جهة اعتبار بحسب المباني المذكورة، وتفصيل أخرى تقرأ بأسانيدنا الخاصة. بذلك تبقى الحكاية متصلة بدليلها، ويظل الفرق واضحاً بين اعتبار طريق الرواية والقطع بكل ما حكي عن صاحبها.

حفظ الاسم وحفظ مرتبته

من الأمانة ألا ننحو الاسم الوارد في التراث، ومن الأمانة نفسها ألا نعطيه يقيناً لم نستوف دليله. للاسم قدرة على أن يقرب الحكاية من القلب؛ فإذا اتصل بمصدره بقي قرباً معيناً على المعرفة. أما إذا انفصل عنه، فقد صار أول خيط في سيرة جديدة لا نعرف أين انتهى فيها النقل وأين بدأ التخيّل.

مصادر الفصل: الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الأحقاف: ٢٩؛ تفسير القمي عند الحجر: ٢٧؛ الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، الموضع نفسه؛ الصفار، بصائر الدرجات، باب إتيان الجن للأئمة وسؤالهم عن معالم دينهم، الأخبار ٨ و ١٢ و ١٣، ص ١١٧-١٢١. النجاشي، رجال النجاشي، ص ٢٨٧، ترجمة عمرو بن عثمان، رقم ٧٦٦؛ الخوئي، معجم رجال الحديث، التراجم ٣٣٢ و ٨٨٠٦ و ٨٨٣٤؛ الجواهري، المفيد من معجم رجال الحديث، ص ٦، التراجم ١٠٠-١٠٢.

الباب الخامس — الجن وأهل البيت عليهم السلام

الفصل ٢٧ — الإمامة وتعليم الجن

سؤال عن الدين

يضع الكليني في كتاب الحجة من الكافي باباً عنوانه: «أن الجن يأتيهم فيسألونهم عن معالم دينهم ويتوجهون في أمورهم». وأقف عند السؤال قبل أن أقف عند هيئة السائل. ففي هذا العنوان حاجة إلى البيان، وطلب لمعرفة ما ينبغي فعله وما ينبغي تركه؛ وهي حاجة نعرفها في أنفسنا كلها أخذنا الدين مأخذ المسؤولية.

في أول أخبار الباب يروي سعد الإسكاف أنه انتظر عند الإمام الباقر عليه السلام، ثم خرج قوم لفتته هيئتهم وأثر العبادة عليهم. ولما سأل عنهم جاء في الخبر أنهم من الجن، يأتون يسألون عن معالم دينهم وحلالهم وحرامهم. والحديث الثالث يروي عن سعد مشهداً قريباً فيه قوم معتمون بالعمائم. حكم المجلسي على الأول بأنه «مجهول»، وعلى الثالث بأنه «مرسل». بذلك نحفظ مضمون الرواية ونبين حال الطريق عند من درسه.

وفد في زمن الخوف

وفي بصائر الدرجات خبر أبي حمزة الثمالي، من طريق أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن مالك بن عطية. يروي أبو حمزة أنه استأذن على الإمام الباقر، فطلب منه الانتظار إلى أن يخرج قوم عنده. ولما خرجوا لم يعرفهم، ثم دخل وأبدى قلقه في زمن بني أمية وشدة سطوتهم. وجاء الجواب في الرواية بأنهم وفد من شيعتهم من الجن، يسألون عن معالم دينهم.

هذا التفصيل يحفظ للسؤال الإنساني موضعه في الحكاية؛ فأبو حمزة، كما يصوره النص، يلتفت إلى سلامة الإمام وهو يرى زواراً لا يعرفهم. ولا يتيح ذلك لنا أن نبتكر أسماء هؤلاء الزوار، أو أسماء الرواة الذين لم يذكرهم الطريق، أو حواراً آخر وراء الحوار المنقول.

ولا أنقل حكم المجلسي على أحد خبري سعد إلى خبر أبي حمزة؛ لكل إسناد بحثه، ولو التقت المتنون في معنى التعليم. أورد هذا الطريق بتعيينه، من غير منحه حكم صحة مستقلاً لم تنجزه هذه الدراسة.

العموم والتفصيل

وفي الإمامة والتبصرة لابن بابويه، الحديث ١٤٦، خبر عن أبي جعفر عليه السلام يجمع بين إرسال محمد صلى الله عليه وآله إلى الجن والإنس وجعل اثني عشر وصياً من بعده. نستحضره بوصفه نصاً روائياً في الصلة بين عموم الرسالة واستمرار الهداية، مع بقاء تحقيق سنده باباً مستقلاً.

ضمن الإطار الإمامي الذي يسير عليه الكتاب، ليست حاجة الجن إلى البيان دليل نقص في حجية القرآن، كما أن سؤال الإنسان عن الحلال والحرام ليس كذلك. السؤال فعل تعلم، والرجوع إلى الحجة امتداد للبحث عن الهدى. لكن هذا الأصل لا يصح أن يتحول إلى دعوى أن كل فرد من الجن مؤمن بالإمامة؛ فالقرآن أثبت اختلاف طرائقهم.

ما الذي يعلننا إياه السؤال؟

أجد في هذه الأخبار، عند قراءتها بحدودها، ما يصرف النظر عن امتلاك الأسرار إلى أداء الواجب. ليست القدرة على الوصول السريع، أو الظهور في هيئة غير مألوفة، جواباً عن سؤال الحلال والحرام. قد يتقدم المخلوق في قدرة، ويبقى محتاجاً إلى من يرشده في الفعل.

ولهذا لا تستمد الدعوة إلى التعلم قوتها من غرابة الزوار وحدها. الإنسان نفسه مسؤول عن أن يسأل من يثق بعلمه، وأن يفهم قبل أن ينقل، وأن يميز بين معرفة الخبر ومعرفة حكمه. وتلك ثمرة يستطيع القارئ حملها من هذا الباب إلى حياته، ولو لم يطلع على تفصيل آخر من عالم الجن.

مصادر الفصل: الكليني، الكافي، كتاب الحجة، الباب المذكور، الحديثان ١ و ٣؛ المجلسي، مرآة العقول، ج ٤، ص ٢٩١ و ٢٩٣؛ الصفار، بصائر الدرجات، باب إتيان الجن للأئمة وسؤالهم عن معالم دينهم، الخبر ٣، ص ١١٦؛ علي بن بابويه، الإمامة والتبصرة، الحديث ١٤٦، ص ١٣٤ في النسخة المقابلة.

الفصل ٢٨ — أمير المؤمنين وعمرو بن عثمان

خبر عند المنبر

يروى الكافي، في الحديث السادس من الباب نفسه، خبر ثعبان أقبل من ناحية باب في المسجد وأمير المؤمنين عليه السلام على المنبر. هم الناس بقتله، فأمرهم بالكف، ثم جرى حديث عرّف فيه القادم نفسه بأنه عمرو بن عثمان، وذكر موت أبيه الذي كان خليفة الإمام على الجن. وفي الخبر أن الإمام أوصاه بتقوى الله وأمره أن يقوم مقام أبيه.

هذه خلاصة الخبر كما ورد، وليست مشهداً أضيفت إليه أصوات أو حركات من الخيال. وقد وصف المجلسي الحديث بأنه «ضعيف على المشهور». لذلك لا نقدمه للقارئ بوصفه واقعة تاريخية قطعية، ولا نستخرج منه قاعدة أن كل ثعبان رسول من الجن.

دقة الاسم ودقة الاستدلال

يوجد اسم «عمرو بن عثمان» كذلك في سلسلة رواة الحديث. وورود الاسم في السند ووروده في المتن لا يجيزان دمج صاحبيه تلقائياً؛ ففي السند راو، وفي الحكاية شخصية يصفها النص بما يصفها به. أما عثمان الوارد أباً للشخصية فلا يحمل في هذه الرواية وحدها هوية تاريخية أخرى معلومة لنا.

والعبارة التي يستوقفني معناها في الخبر هي الوصية بالتقوى. فإن صح طريقه، فثمرة النيابة فيه مسؤولية وطاعة. وإن لم يثبت، فلا نحتاج إلى تصحيحه كي نقرر أن التقوى أصل في حمل الأمانة؛ فهذا ثابت بأدلة مستقلة.

أما أخبار الحروب الطويلة بين الإمام وجيوش الجن، والأسماء والبلدان التي تملأ بعض القصص، فلا يثبت مجموعها بهذا الخبر القصير. تختلف القصة والمصدر والطريق، ويحتاج كل ادعاء إلى تحقيقه. ولا تقل منزلة أمير المؤمنين عليه السلام حين نصوص نسبته عن خبر لم يثبت.

مصادر الفصل: الكافي، كتاب الحجّة، باب أن الجن يأتيهم، الحديث ٦؛ مرآة العقول، ج ٤، ص ٢٩٥.

الفصل ٢٩ — فاطمة الزهراء والإمام الحسن: الدعاء وأمانة الحكاية

خبر تنتقل فيه الكلمة

ليست كل صلة بين أهل البيت وعالم الجن حكاية لقاء. قد تأتي الصلة في دعاء يرد الخلق كله إلى خالقه، أو في تعليم يحفظ الإنسان من أن يجعل خوفه أكبر من ثقته بالله. وفي هذا المعنى أقرأ مادة ترتبط بفاطمة الزهراء والإمام الحسن عليهما السلام، مع المحافظة على نوعها الروائي وحدودها.

ينقل المجلسي في بحار الأنوار، في باب الدعوات المأثورة غير الموقته، عن مهج الدعوات لابن طاووس، خبراً مروياً عن الإمام الحسن عن أمه فاطمة، في دعاء علّمها إياه رسول الله صلى الله عليه وآله. ومطلع الدعاء «يا أعز مذكور»، وفيه ذكر خلق الجن والإنس، والإشارة إلى ما وهبه الله لسليمان من تسخير الريح والشياطين.

تصل إلينا هنا كلمة يتناقلها أهل البيت في سياق العبادة؛ وليس في هذا الموضع نفسه وصف وفد من الجن حضر عند فاطمة أو الحسن، ولا محاورة بينهما وبين فرد منهم. لذلك نضع الدعاء في موضعه، ولا نحوله إلى مشهد لم يروه.

الحكم المنقول وصاحبه

يتضمن النص المنقول عن ابن طاووس عبارة «وجدناه بإسناد صحيح». أثبت هذه العبارة بوصفها حكماً منقولاً عن صاحب الكتاب، لا تحقيقاً جديداً مني لكل راو في الطريق، ولا إجماعاً بين العلماء على مرتبته. وقد يختلف الحكم باختلاف المباني الرجالية والطرق المتاحة؛ والأمانة أن تبقى النسبة ظاهرة.

والإحالة هنا إلى نقل المجلسي عن مهج الدعوات، في الموضع الذي أمكن مقابلة نصه. فلا يدعي هذا الفصل مقابلة جميع نسخ مهج الدعوات أو جميع أسانيد الدعاء. كما لا يستخرج من ألفاظ الفضائل الواردة معه وعداً طيباً للقارئ أو قاعدة تتيح له إهمال أسباب العلاج.

الخلق في مقام الدعاء

ما يشدني في المقطع المتصل بموضوعنا أن ذكر الجن يجيء مع ذكر الإنس وسائر الخلق. فلا ينفرد المخلوق الخفي بعظمة توهم أنه خارج سلطان الله. يرد الدعاء تعدد العوالم إلى وحدة الخالق، فتستقيم جهة الرجاء.

وهذا تأمل في معنى النص، لا تتمه نسبها إلى النبي أو إلى الزهراء والحسن عليهم السلام. أحب أن تبقى المسافة واضحة بين العبارة المروية وما تفتحه في نفس قارئها؛ فقد يحمل القارئ من الدعاء طمأنينة صادقة، من غير أن يضيف إلى الرواية كلمة واحدة.

حضور الأسماء في أخبار المصاب

ويحتاج الموضع المتصل بنياحة الجن إلى دقة أخرى. فقد يرد اسم فاطمة عليها السلام في مرثية للحسين، فينتقل عند إعادة الحكاية إلى قصة لقاء بينها وبين النأحين. وذكر الأم في رثاء ولدها لا يدل بمفرده على مجلس حضرت فيه أو محاورة أجرتها.

وفي كامل الزيارات خبر نساء بني عبد المطلب، وفيه ذكر رسول الله وعلي وفاطمة وأسماء من أهل البيت في سياق المصاب. أما سماع نياحة الجن في آخر الخبر فينسب إلى بعض عمات الحسين من غير تسمية. لا نستبدل هذه المرأة بفاطمة، ولا نختار لها اسماً مشهوراً لنكمل به المشهد.

مقام الحسن وأمانة المحبة

للإمام الحسن في النص الدعائي حضور بوصفه ناقلًا عن أمه، وله في اعتقاد المؤلف مقامه في الإمامة. وكلا الأمرين محفوظ. أما بناء حكاية خاصة عن مجلس جمعه بالجن فيحتاج إلى خبر ذلك المجلس نفسه، لا إلى استنتاجه من عموم المقام أو من موضوع الدعاء.

وكلما أحببت من أكتب عنه، ازدادت حاجة إلى التثبت مما أنسب إليه. إن الكلمة الصادقة، وإن كانت قليلة، تترك للقارئ معرفة يمكنه الرجوع إلى أصلها. وقد تكون أصدق خدمة للحكاية أن نحفظ لها حجمها الذي وصلنا، ثم نحسن قراءتها ونكشف ما فيها من معنى.

مصادر الفصل: المجلسي، بحار الأنوار، باب ٩١ «الدعوات الماثورة غير الموقته»، الخبر ٣٥، نقلًا عن ابن طاووس، مهج الدعوات، دعاء «يا أعز مذكور» المروي عن الحسن عن فاطمة؛ ابن قولويه، كامل الزيارات، باب نياحة الجن على الحسين، خبر نساء بني عبد المطلب المبدوء بقول الراوي «لما هم الحسين بالشخص عن المدينة». يعين الخبر الأخير بمطلعه لا برقه لاختلاف عرضه في النسخ الرقمية المقابلة.

الفصل ٣٠ — الحسين عليه السلام ونياحه الجن

الحزن الذي تحفظه الأخبار

خصص ابن قولويه في كامل الزيارات باباً لنياحه الجن على الحسين بن علي عليهما السلام. يتضمن الباب أخباراً عن سماع النوح، وأشعاراً منسوبة إلى النائحين، وروايات ترتبط بالمسير إلى العراق وبخبر المصاب.

في خبره الأول تنقل أم سلمة سماع نوح الجن، وتذكر مجيء جنية تنشد في رثاء الشهداء. لم يسم النص هذه الجنية. وفي خبره الخامس يروي علي بن الحزور عن امرأة اسمها ليلي أنها سمعت النوح. ليلي هنا

ناقلة للسمع، وليس في هذا النص ما يجعلها اسم الجنية النائحة، ولا ما يكفي لتعيين نسبها أو دمجها بشخصية أخرى مشهورة تحمل الاسم نفسه.

وفي خبر آخر يتحدث قوم عن شيخ وابن أخيه في موضع شاهي، ثم عن بلوغ خبر المقتل. تظل الشخصيات غير المسماة كذلك؛ لا نلحق بها أسماء من قصص لاحقة لكي تكتمل الصورة.

الباب ليس درجة واحدة

وجود هذه الأخبار في كتاب واحد لا يسوي طرقها. ففي أحد أسانيد الباب راوي يقول «عمن حدثه»، وفي أخبار أخرى أسانيد مسماة تحتاج إلى دراسة رجالها واتصالها. ولم يعتمد هذا الكتاب حكماً إجمالاً يصحح كل أخبار النياحة أو يردّها كلها.

والخبر المروي عن الرضا عليه السلام في سير الحسين ليلاً ورد بطريقتين في الموضع نفسه. يصف المتن رجلاً يرتجز؛ فلا يكفي عنوان الباب وحده لإضافة تصريح إلى ألفاظه بأن المنشد جني، إذا لم يصرح النص الذي نقله بذلك. هذه دقة صغيرة في صورتها، كبيرة في أثرها.

الحسين في مركز الحكاية

مهما اختلف النظر في أفراد هذه الأخبار، لا يجوز أن تطغى عجائبها على أصل المصاب. الحسين عليه السلام ليس محتاجاً إلى قصة غير محققة لتعرف مظلوميته، ولا يصبح البكاء أصدق إذا نسبنا إلى الغيب ما لم يثبت. نقرأ ما نقل من المراثي بأدب، ونحفظ للنقد العلبي مكانه، فلا يطفئ العلم حرارة الوفاء ولا تعطل الحرارة أمانة العلم.

مصادر الفصل: ابن قولويه، كامل الزيارات، باب ٢٩: نياحة الجن على الحسين بن علي، ولا سيما الأخبار ١ و ٢ و ٤ و ٥ و ٧، وخبر نساء بني عبد المطلب المعين بمطلعه؛ لا تعني إحالة الباب تصحيح جميع طرقه.

الفصل ٣١ — السجاد والباقر والصادق: خبر الضيافة ومجالس العلم

السجاد في عسفان

أورد الراوندي في الخرائج والجرائح خبر نزول الإمام زين العابدين عليه السلام بعسفان، ونصب غلمانه فسطاطه في موضع يذكر الخبر أن فيه قومًا من الجن من أوليائه. ثم يروي سماع هاتف يدعو إلى إبقاء الفسطاط، وظهور أطباق فاكهة أكل منها الإمام ومن معه.

يرد هذا الخبر في الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٥٨٧-٥٨٨، برقم ١٠، بصيغة مختصرة لا تسوق إسناده. وقبول في دلائل الإمامة، طبعة مؤسسة البعثة، ص ٢١٢، برقم ١٣٥/٢٥، بإسناد ينتهي إلى جابر بن يزيد عن الإمام الباقر عليه السلام. ومن رجاله صالح بن أبي الأسود، الذي وصفه الجواهري بالجهول في المفيد من معجم رجال الحديث. وتذكر ترجمته صحة طريق الشيخ إليه، وهي مسألة تختلف عن توثيق صالح نفسه وعن تصحيح سند خبر عسفان. لذلك لا يثبت بهذا الطريق وحده اعتماد الواقعة على المبني المنقول، ولا يكون تكرارها في الخرائج تصحيحًا لما لم يثبت من رجالها. أثبتت أسماء الناقلين واختلاف ضبط بعضها في سجل الروايات.

ومعناه القصصي، على فرض ثبوته، يتصل بالمراعاة والضيافة. لكن وصف الضيافة لا يمنحنا حق إنشاء تفاصيلها: لا يذكر هذا الموضع أسماء أصحاب الأطباق، ولا تاريخًا تفصيليًا لذلك النزول. تظل المائدة في حدود ما رواه النص، ونبقي ما وراءها سؤالاً.

الباقر ورسالة سدير

أما رواية سدير الصيرفي في الكافي فتصف سفره وقربه من فج الروحاء، ثم وصول رجل يحمل كتاباً عليه خاتم الإمام الباقر وطينه رطب. ولما سأل الإمام بعد ذلك، ورد في جوابه ما يفسر سرعة وصوله بالاستعانة ببعض الجن.

حكم المجلسي على الحديث: «حسن وآخره مرسل». والآخر المقصود هو الزيادة التي قدمها الكليني بصيغة «وفي رواية أخرى»، وفيها التصريح بالخدم وإرسالهم عند إرادة السرعة. لا ينقل حكم الحسن إلى هذه الزيادة تلقائياً؛ فالحديث في صورته المجموعة يشتمل على أصل وذيل ميز الشارح بينهما.

وفي بصائر الدرجات ورد خبر سدير أيضاً، عن محمد بن الحسين، عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن سدير، ثم عقب النص بزيادة نسبها إلى محمد بن الحسين بالإسناد نفسه. هذه ملاحظة في طريقة عرض المصدرين، ولا تبرر محو عبارة المجلسي عند نقل حكمه على نص الكافي. من أراد دراسة الطريقتين يجمع مادتهما أولاً، ثم يبحث مواضع الاتصال والاختلاف.

رسالة جابر وحدود الاستنتاج

وفي الباب نفسه من الكافي خبر الرسالة إلى جابر الجعفي، وما تلاها من سلوك حماه، بحسب سياق الخبر، من طلب السلطة قتله. وصف المجلسي طريقه بأنه «ضعيف أو مجهول». فلا نجعل قوة المشهد في الذاكرة بديلاً من بيان مرتبته.

ولا نحول وقائع القصة إلى تفسير لكل اضطراب في السلوك أو انتقاص من المرضى. للخبر ظرفه وشخصياته وما ينسبه إلى تدبير مخصوص؛ أما الإنسان الذي يتألم أمامنا فله حق الرعاية والفهم، ولا يختصر أمره في تشبيه أدبي نستعيره من واقعة أخرى.

الصادق وطلبة مجهولون للأصحاب

ينقل الحديث الثاني من باب الكافي خروج قوم من عند الإمام الصادق عليه السلام، ثم تعريفه إياهم بأنهم من الجن. حكم المجلسي عليه بالضعف. والمشارك بينه وبين أخبار سعد صورة جماعة تسأل وتتعلم؛ وهذه الصورة تنسجم مع أصل التكليف، لكن انسجام المعنى لا يقوم مقام صحة السند.

وفي بصائر الدرجات خبر عمار السجستاني، من طريق محمد بن الحسين، عن إبراهيم بن أبي البلاد. يذكر عمار حضوره عند فسطاط الإمام الصادق بمنى، والاستئذان لشباب شبههم الراوي برجال الزط. ثم

يسأل عنهم لأنه لم ير خروجهم، فيجيب التعريف في الرواية بأنهم قوم من الجن سألوا عن مسائلهم ثم ذهبوا.

لا نعلم من هذا الخبر وحده مضمون تلك المسائل، فلا نضع على ألسنتهم أسئلة من تأليفنا. كما أن تشبيه الراوي هيئة الزوار بجماعة بشرية ليس حكماً على تلك الجماعة ولا تفسيراً لأصلها. إنما هو وصف داخل حكاية، يقرأ بقدره ولا يحمل عليه نسب الناس.

ما يبقى من المجلس

حين تتجاوز هذه المواد، تتقدم أمامي صورة البيان: سؤال، وجواب، وحاجة إلى العلم، ورسالة لها غرض. وحين أقابل طرقها، أجد واجباً آخر يلازم تلك الصورة، هو ألا أرفع خبراً إلى مرتبة غيره لمجرد أنهما وقعا في الباب نفسه.

لذلك يستطيع القارئ أن يجد الحكاية ومفتاح مراجعتها معاً. له أن يتأمل المعنى، وله أن يسأل عن الطريق؛ ولا ينبغي لجمال العبارة أن يجعله مضطراً إلى الاختيار بين الأمرين.

مصادر الفصل: الراوندي، الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٥٨٧-٥٨٨، الخبر ١٠؛ دلائل الإمامة، المنسوب إلى محمد بن جرير الطبري الإمامي، تحقيق مؤسسة البعثة، ص ٢١٢، الخبر ١٣٥/٢٥؛ الكافي، كتاب الحجّة، باب أن الجن يأتيهم، الأحاديث ٢ و ٤ و ٧؛ مرآة العقول، ج ٤، ص ٢٩٢ و ٢٩٤ و ٢٩٦؛ الصفار، بصائر الدرجات، باب إتيان الجن للأئمة وسؤالهم عن معالم دينهم، الخبران ٢ و ١١، ص ١١٦ و ص ١١٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٢١، في نقل خبر عمار الجواهري، المفيد من معجم رجال الحديث، ص ٢٨١، ترجمة صالح بن أبي الأسود، بالأرقام المتقابلة ٥٧٩٢/٥٧٩١/٥٨٠١.

الفصل ٣٢ — من الكاظم إلى العسكري: ضبط الأسماء وحدود الأخبار

الكاظم وأبو خالد الزبالي

من الأخبار التي تتصل بموضوع الوسوسة ما رواه الكافي في باب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام، عن أبي خالد الزبالي. يذكر الراوي حزنه حين حُمل الإمام إلى المهدي العباسي، ثم ما أخبره به الإمام عن عودته ولقائه. ويحكي انتظاره إلى أن قاربت الشمس الغروب، وما وقع في صدره من خوف وشك، ثم وصول الإمام وتذكيره بألا يشك.

المهدي في سياق هذا الخبر هو الخليفة العباسي، وليس الإمام المهدي المنتظر. وقد صرح المتن باسم موسى، فبقي صاحب الواقعة معيناً. ووصف المجلسي الطريق بأنه «مجهول بالزبالي»، وأضاف أنه يمكن أن يعد حسناً. أنقل عبارته بوجهيها، فلا أسقط التحفظ وأبقي الاحتمال وحده، ولا أجعل هذا النقل حكماً جديداً لي.

يرد ذكر الشيطان هنا في تفسير الوسوسة داخل الرواية، ولا يرد وصف ظهور جني أمام أبي خالد. وهذا فرق يحفظ موضوع الفصل: قد يكون حضور الشيطان حضور إغواء، وقد تكون الرواية عن لقاء، ولكل منهما عبارته ودلالته.

أبو الحسن عند الغدير

وفي بصائر الدرجات خبر آخر، يرويّه يعقوب بن إبراهيم عن إبراهيم بن وهب. يذكر إبراهيم خروجه إلى أبي الحسن بالعريض، وسماعه صوتاً يرشده إلى موضعه خلف قصر بني سرة، ثم وصوله إلى ناحية غدير ورؤيته حياً. وينقل النص كلاً ما في الفصل بين المتخاصمين والتحذير من الظلم، ثم سؤال إبراهيم عن الطاعة.

أورده المجلسي أيضاً في بحار الأنوار، في باب أخبار الجن مع الأئمة، ناقلاً عن بصائر الدرجات. وفي النص الذي قابلته جاءت الكنية «أبو الحسن»؛ لذلك أحفظها في عرض هذا الخبر، ولا أستخرج من

الكنية المشتركة وحدها تعيين الإمام. كذلك لا أنقل حكم سند خبر أبي خالد السابق إلى هذا الطريق المختلف.

وللقصة، في حدود متنها، مركز أخلاقي لا يصح أن تغطيه هيئة الحيات: الحديث عن خصومة وحكم وعن ظلم يحاسب عليه صاحبه. أما تحويل كل حية إلى فرد من الجن، أو كل صوت غير مرئي إلى رسالة، فزيادة لا يدل عليها هذا الخبر الخاص.

حكيمة بنت موسى

تروي حكيمة بنت موسى في الكافي أنها رأت الإمام الرضا عليه السلام عند باب بيت الخطب يخاطب من لم تره. وحين سألت، ورد في الخبر أنه عامر الزهرائي، جاء يسأل ويشكو. ثم تذكر الرواية طلبها سماع كلامه وما أعقب ذلك من حمى.

حكم المجلسي على الطريق بأنه ضعيف. فلا نقرر اعتماداً عليه أن سماع كل صوت من الجن يسبب مرضاً معيناً، أو أن الحمى بعد صوت غريب ذات سبب غيبي. ذلك تعميم لا يحتمله خبر خاص، فضلاً عن حال إسناده.

ويجب ضبط اسم الناقلة: هي في هذا النص «حكيمة بنت موسى». لا نستبدل بها حكيمة بنت الإمام الجواد لمجرد اشتها الأخرى في أخبار ولادة الإمام المهدي عليه السلام؛ فالاشتراك في الاسم لا يلغي اختلاف النسب والزمن.

الأئمة لا تتبادل أخبارهم

ذكر الإمام موسى في نسب ابنته لا يجعل اللقاء المروي لقاءه هو؛ الإمام صاحب الواقعة في متن خبر حكيمة هو الرضا. وبالمثل لا يصح نقل حكاية عن الباقر أو الصادق إلى الجواد أو الهادي أو العسكري ليصبح لكل إمام مشهد مواز.

يجمع هؤلاء الأئمة أصل الإمامة في عقيدة المؤلف، لكن التاريخ التفصيلي يحتاج إلى شواهد خاصة. لم تعتمد هذه الدراسة خبر لقاء مستقلاً محققاً لكل واحد من الأئمة الثلاثة المتأخرين في هذا الباب. وهذا حد للمادة المستعملة، وليس ادعاء باستقصاء كل ما كتب عنهم أو نفي كل خبر لم يعرض هنا. للاسم حرمة في الكتابة عن الناس، وتزداد المسؤولية حين ننسب الكلام إلى من يقتدي بهم الناس. قد يغير نسب قصير هوية الراوي، وقد تنقل كنية مشتركة الخبر إلى غير صاحبه. وحفظ هذه الدقائق يحفظ الحكاية من أن تتحول، مع كثرة تداولها، إلى حكاية أخرى.

مصادر الفصل: الكافي، كتاب الحجّة، باب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر، الحديث ٣؛ المجلسي، مرآة العقول، ج ٦، ص ٤١؛ الصفار، بصائر الدرجات، باب إتيان الجن للأئمة وسؤالهم عن معالم دينهم، الخبر ١٥، ص ١٢٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٢١-٢٣، الخبر ١٣؛ الكافي، كتاب الحجّة، باب أن الجن يأتيهم، الحديث ٥؛ مرآة العقول، ج ٤، ص ٢٩٥.

الفصل ٣٣ — الجن والإمام المهدي: عموم الحجّة وحدود أخبار المستقبل

ما يدخل في الأصل

يصل بحث الإمامة في المنظور الاثني عشري إلى الإمام المهدي عجل الله فرجه. والقول باستمرار الحجّة لا يحتاج إلى قصة حديثة عن جني يزعم أنه يعرف مكان الإمام أو يحمل أوامره. أصل الاعتقاد يبحث بأدلته، وأما دعوى فرد بعينه فتحتاج إلى بيّنة تخصها.

والخبر المتقدم من الإمامة والتبصرة يذكر الجن والإنس واثنى عشر وصياً. هذا وجه اتصاله بالبحث، لكنه لا يتضمن، بمجرد، كشفاً بأسماء جنود من الجن، ولا تعداداً لقبائلهم، ولا جدولاً بأوقات ظهورهم.

الحكاية لا تنشئ تكليفاً

قد ترد حكايات متأخرة عن لقاءات، أو تسمع دعوى أن وسيطاً خفياً يبلغ عن الإمام. بين قراءة حكاية للتعرف إلى تاريخ تداولها، وبين جعلها أمراً ملزماً للناس، مسافة لا يجوز إلغاؤها. لا تثبت النيابة ولا الأحكام ولا وجوب بذل المال لشخص بمجرد قوله إن الجن أخبروه.

ولا تعني إمكانات العالم الغائب أن كل دعوى عنه متساوية في الحجية. لقد علمنا القرآن نفسه أن في الجن اختلافاً وأن بعض القول قد يكون شططاً. فكيف نصير أشد تسليماً لكل مدع مما تطلبه النصوص؟

الانتظار عمل حاضر

أخرج من هذا الفصل بمعنى يناسب مسار الكتاب: أن رجاء العدل ينبغي أن يزيدنا عدلاً، وأن محبة الحجة تزيد حرصنا على صدق النسبة إليه. أما التفاصيل التي لم تثبت في هذه الدراسة، فلا نسد فراغها بتوقيعات أو أسماء. ويأتي بحث «الوقت المعلوم» في موضعه، مع إبقاء اختلاف الأخبار عن نهاية إبليس ظاهراً.

مصادر الفصل: علي بن بابويه، الإمامة والتبصرة، الحديث ١٤٦؛ القرآن الكريم، سورة الجن؛ وما تقدم في باب تعليم الجن. لا يتضمن هذا الفصل ادعاء استقصاء جميع كتب الغيبة أو تصحيح روايات الجيوش وأفرادها.

الباب السادس — طبيعة الجن وحياتهم: ما تقوله النصوص

الفصل ٣٤ — الخفاء والصورة: هل نعرف كيف تبدو الجن؟

أصل الخلق لا يرسم الهيئة

عرفنا أن القرآن يذكر خلق الجان من النار، وأنه يخاطب الجن بوصفهم مخلوقات عاقلة مكلفة. لكن معرفة الأصل لا تعطينا رسماً لجسد كل فرد، كما لا يكفي ذكر أصل خلق الإنسان من الطين لوصف ملامح إنسان بعينه.

وفي الأعراف: ٢٧، المقدمة في الفصل الثالث عشر، بيان رؤية الشيطان وقبيله للإنسان من حيث لا يراهم. ثبت ما تقوله الآية، ولا نضيف إليها وصفاً تشريحيًا، ولا نجعلها وحدها جواباً عن كل صورة خاصة وردت في رواية.

صور مروية

مر في باب أهل البيت خبر الثعبان، وأخبار أشخاص في هيئة رجال، وخبر صوت لم تر صاحبه متكلمه. وهي مواد مختلفة في طرقها؛ ذكر صورتها لا يقتضي تصحيحها جميعاً. وكذلك فإن تشبيه قوم بالجراد الصفر في خبر سعد متعلق بألوانهم وهيئتهم في العبارة، فلا يحولهم القارئ إلى جراد حقيقي.

والقصة القرآنية تصف عصا موسى في موضع بأنها تهتز كأنها جان:

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تهتُّ كأنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ^ج يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾

سُورَةُ النَّعْلِ، الآية ١٠.

السياق هنا وصف حركة العصا بعد إلقائها، فلا تكون كل كلمة «جان» في القرآن دليلاً على حضور جني. ويحتاج اللفظ إلى سياقه قبل أن يحتاج إلى حكاية تشرح غرابته.

لا يمتلك هذا الكتاب صورة يدعي أنها توثيق بصري للجن. وما يرسمه الفنان إنما هو تخيل فني ما لم يتم دليل على غيره. وأجمل ما يستطيع الخيال تقديمه هنا أن يقرب جو السؤال، مع إبقاء صورة المخلوق التي لم نعلمها خارج دعوى المعرفة.

مصادر الفصل: القرآن الكريم، الأعراف: ٢٧، النمل: ١٠؛ الكافي، باب أن الجن يأتيهم، الأحاديث المتقدمة مع أحكامها في الباب الخامس.

الفصل ٣٥ — الذرية والذكورة والأنوثة

ألفاظ لها حدود

ورد ذكر ذرية إبليس في الكهف: ٥٠، كما ورد في سورة الجن وصف رجال من الإنس يستعيذون برجال من الجن. وتذكر سورة الرحمن الإنس والجان في سياق الطمث. لهذه الألفاظ دلالتها التي يبحثها التفسير، وهي تمنع اختزال موضوع الجن في قوى مجردة لا خطاب لها ولا حياة. لكن النصوص المذكورة لا تقدم وصفاً كاملاً لتكوين الأسرة، أو مدة الحمل، أو مراحل نمو الصغار، أو عدد الولادات. ومن الخطأ نقل أرقام من حكاية منفردة إلى حكم على جنس كامل.

لا نسب بلا دليل

إثبات ذرية لإبليس لا يجعل جميع الجن أولاده، كما سبق. وفي الخبر الضعيف عن عمرو بن عثمان يذكر أب وابن، وفي خبر أم سلمة تذكر جنية. تظل هذه إضافات روائية ذات مراتبها، ولا يقوم بعضها مقام دراسة بقية مسائل الحلقة.

ويظهر هنا فارق بين سؤال مشروع وجواب مصنوع. سؤال القارئ عن أسر الجن مفهوم؛ فهم في النص جماعات ومختلفون في المواقف. أما رسم أعراسهم وبيوتهم وأنسابهم على تفصيل لا مصدر له، فيحول السؤال من طلب معرفة إلى إنتاج أسطورة.

ما نستطيع أن نخله معنا هو أن الذرية لا ترفع المسؤولية الفردية، وأن النسب لا يحكم على الإيمان. في عالم الجن كما في عالم الإنسان، يعرض القرآن الاختيار والعمل، ولا يمنح صلاحاً لمجرد الانتماء.

مصادر الفصل: القرآن الكريم، الكهف: ٥٠؛ الجن: ٦ و ١١ و ١٤؛ الرحمن: ٥٦ و ٧٤؛ وتفصيل أخبار الأفراد في الفصلين ٢٨ و ٣٠.

الفصل ٣٦ — الطعام والشراب والنوم

خبر الطعام في بابه

روى الشيخ الطوسي في تهذيب الأحكام، الحديث ١٠٥٣ من الجزء الأول، عن ليث المرادي أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن الاستنجاء بالعظم أو البعر أو العود، فجاء في الجواب ذكر العظم والروث بوصفهما طعام الجن، وربط ذلك بما اشترطوه على رسول الله صلى الله عليه وآله.

ليس السؤال في أصله عن نظام غذائي لعالم خفي؛ إنه سؤال في آداب الطهارة، ورد ذكر الطعام في جوابه. وبعيننا حفظ هذا السياق على ألا نخل اللفظ ما لا يحتمل من وصف للهضم أو مقدار الوجبات أو اختلاف الغذاء بين جميع أصناف الجن.

السند والاستدلال الفقهي

وفي شرح مباحث الاستنجاء من كتاب الطهارة المقرر لأبحاث السيد الخوئي، جاءت مناقشة النصوص الواردة في العظم والروث مع وصفها بالضعف السندي، ثم عرض الاستدلال على فرض جبر ضعفها بعمل الفقهاء، وذكر رواية ليث المرادي بوصفها عمدتها. فالكلام لا يسوي بين مجرد ورود الرواية وبين صحة سندها.

هذه إضافة إلى تعيين المصدر، لا فتوى أستقل بإصدارها للقارئ. فبحث الحكم الفقهي يضم النظر في الأسانيد والدلالة وسائر الأدلة والمباني، ولا يختصر في الجملة الحكائية عن الطعام. كما أن عرض احتمال الاستدلال على مبنى معين لا يعني أن جميع الباحثين قد تبنا ذلك المبنى.

بين الغذاء والضيافة

أما أطباق الفاكهة في خبر السجاد المتقدم، فهي طعام يذكر الخبر أنه قدم للإمام وأصحابه. لا يلزم من ذلك وحده أن يكون هو الطعام اليومي لجميع الجن؛ فالضيافة شيء، ووصف طبيعة المضيف شيء آخر. ومن السهل أن تنتقل بينهما في الخيلة، لكن النص لا يمنح هذا الانتقال دليلاً.

وفي كل ما تناوله من هذه الأخبار، يبقى موضع السؤال ظاهراً: هل يصف الخبر فرداً أو جماعة؟ وهل يسوق حكماً فقهياً أو خبراً عن واقعة؟ وهل يخبر عن طعام قدم للإنسان أو عن غذاء الجن؟ إن اختلاف هذه الأسئلة يغير مقدار ما نستطيع أخذه من الجواب.

ما لم يفصله النص

لم تقدم المواد المقابلة لهذا الفصل وصفاً محققاً جامعاً لشراب الجن أو نومهم ومدته. لذلك لا نعين ساعات يقظتهم، ولا نزعهم أنهم لا ينامون إطلاقاً، ولا نرسم لهم حياة يومية على مثال حياتنا ثم نسمي الرسم معرفة.

ولست أرى السؤال الذي لا نملك جوابه عيباً في الكتاب. العيب أن نسد موضعه بعبارة تستريح إليها النفس ولا تقوم عليها حجة. يستطيع القارئ أن يبقي السؤال حاضراً، وأن يقرأ الخبر المتاح في حدوده، من غير أن يشعر أن عليه إكمال صورة لم يكتمل دليلها.

وتؤخذ الثمرات العملية للنصوص الفقهية من الفقه وأهله. أما هذا الفصل فيتعرف إلى الخبر ويضبط سياقه؛ ولا يتضمن طلباً إلى القارئ أن يقدم طعاماً لجهة مجهولة أو يدخل معها في معاملة، فذلك أمر آخر لا يثبت ما عرضناه.

مصادر الفصل: الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ١، الحديث ١٠٥٣، ص ٣٥٤ في الترقيم الطباعي المقابل؛ كتاب الطهارة، تقرير أبحاث السيد أبي القاسم الخوئي، ج ٣، ص ٤١٦-٤١٧ في النسخة الرقمية المقابلة، مبحث الاستنجاء بالعظم والروث؛ الراوندي، الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٥٨٧-٥٨٨.

الفصل ٣٧ — المواطن والمساكن

المكان الذي يرد في قصة

تتصل بعض الأخبار بأمكنة معينة: بطن نخلة في روايات الاستماع، ونصيبين في نسبة بعض الوفود، وعسفان في خبر الفسطاط. لكل اسم وظيفته: موضع سماع، أو نسبة جماعة، أو مسرح رواية. ولا يصح أن نحول هذه الأسماء إلى خريطة حصرية لمساكن الجن.

كذلك فإن ظهور شخصية في موضع، على فرض ثبوت الخبر، لا يثبت أنها لا تعيش إلا فيه. وتحديد حدود مملكة أو تعداد سكان وإدٍ يحتاج إلى دليل مستقل، لا إلى توسيع جملة عابرة.

البيت المهجور ليس شهادة

في حياة الناس قد يقترن الخوف بالأماكن المظلمة أو المتروكة، فتتراكم حولها القصص. لكن الخوف إحساس، والحكاية خبر، وإثبات سبب خفي أمر ثالث. لا يكفي اجتماعها في تجربة شخص لكي يصبح المكان موطناً ثابتاً للجن.

إذا سمع الإنسان صوتاً في بيته، بقي فحص أسبابه المعتادة عملاً معقولاً. وإذا وجد خطراً في بناء مهجور، كان تجنب الخطر كافياً من غير أن ننسبه إلى مخلوق غائب. إن الاعتراف بالغيب لا يلزم منه إهمال ما يمكن ملاحظته وفهمه.

ويظل المكان في النص تابعاً لمقصده. فالقيمة في بطن نخلة هي سماع القرآن، وفي خبر الفسطاط مراعاة من قيل إنهم فيه. ليس المقصود أن يخرج القارئ يبحث عن لقاء عند هذه المواطن، بل أن يفهم ما حملته الروايات مع حفظ مرتبتها.

مصادر الفصل: مجمع البيان، تفسير الأحقاف: ٢٩؛ الخرائج والجرائح، الخبر المتقدم عن عسفان. وما عدا تعيينات الأخبار هنا تحليل منهجي، لا نقل لخريطة غيبية.

الفصل ٣٨ — اللغة والمعرفة وطلب العلم

فهم يمكن أن يتغير

تكلم نفر الجن عن القرآن الذي سمعوه، ثم نقلوا معناه إلى قومهم. فهذا في القصة القرآنية إدراك ودعوة وحجة. وكان بعضهم قبل ذلك يتصور أن الإنس والجن لا يقولون على الله كذباً، ثم راجعوا ما كانوا عليه.

يعلمنا هذا أن عالمهم، كما عرضه النص، ليس خارج عملية التعلم. فيه معرفة قد تصح أو تخطئ، وفيه انتقال من حال إلى حال. والإيمان لا يساوي الإحاطة بجميع المعلومات، كما أن الخفاء لا يساوي العصمة.

هل لهم لغة واحدة؟

وصول كلامهم إلينا في القرآن بالعربية لا يثبت أن العربية هي اللغة الوحيدة لكل الجن في كل عصر. كما أن تعيين لغة سرية واحدة لهم، أو الادعاء بأن رموزاً مخصوصة تستدعيهم حتماً، لا يستفاد من النص.

أما أخبار سؤال الأئمة عن معالم الدين فتظهر طلب العلم في صورة سؤال وجواب. لم يصل في كل خبر نص الحوار كاملاً، ولذلك لا نملأه بمسائل نتخيل أن الزائر سأل عنها.

وفي موت سليمان شاهد حاسم على حد المعرفة، مهما عظمت القدرة: استمر العمل حتى انكشف الموت عند سقوط الجسد. من هنا نفهم أن سرعة الحركة في رواية، أو القدرة على عمل في آية، لا تجعل صاحبها عالماً بما غاب عنه. والعلم في هذه الحكاية هبة ومسؤولية، له موضوعه وحدوده.

مصادر الفصل: القرآن الكريم، الجن: ١-٥؛ الأحقاف: ٢٩-٣٢؛ سبأ: ١٤؛ الكافي، باب أن الجن يأتيهم.

الفصل ٣٩ — القدرة والحد

أعمال مختلفة

قراءة قصة سليمان تكشف عن أعمال متعددة: بناء وغوص، وخدمة وصناعة، وعرض لنقل عرش. لا يدل اجتماعها في مواضع القصة على أن كل فرد من الجن يقوم بجميعها بالدرجة نفسها. حتى عرض العفريت نسب القدرة والأمانة إلى نفسه في موقف معين. وفي الأخبار الروائية يظهر إرسال بعضهم في حاجة سريعة. تبقى هذه الأخبار بمراتبها، ولا تستخرج منها سرعة عديدة أو قانون حركة، لأن النص لم يعطنا وحدات قياس ولا تجربة قابلة للتكرار.

المخلوق تحت السلطان

ليست قدرتهم في منطق القرآن خروجاً من ملك الله:

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ، الآية ٣٣.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ، الآية ٣٤.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ، الآية ٣٥.

سياق الخطاب ومشهد العجز فيه ينبغي أن يبقيا ظاهرين. لا يحمل النص تصريحاً تقنياً عن مشروع إنساني بعينه، ولا يساوي بين انتقال داخل العالم وبين الخروج من سلطان الله.

والقدرة كذلك غير الاستحقاق الأخلاقي. قد يقدر مخلوق ويعصي، وقد يملك معرفة ويضعها في غير موضعها. لذلك لا يجوز أن يصير الإعجاب بالقدرة سبباً للطاعة أو الثقة المطلقة، سواء نسبت إلى إنسان أو إلى جني. في نهاية الأمر يسأل المكلف عن وجه استعمال ما أوتي، لا عن مقدار ما أدهش به الآخرين.

مصادر الفصل: القرآن الكريم، النمل: ٣٩؛ سبأ: ١٢-١٤؛ الأنبياء: ٨٢؛ الرحمن: ٣٣-٣٥؛ ورواية سدير في الكافي، الباب المتقدم، الحديث ٤.

الفصل ٤٠ — الأديان والجماعات والاختيار

طرائق قدداً

صرحت سورة الجن باختلاف الطرائق، وبوجود الصالحين ومن دونهم، والمسلمين والقاسطين. لا تعرض السورة جماعة واحدة متطابقة، بل عالماً فيه مواقف ومراجعات ومسؤوليات. وورد في آيات الأحقاف اعتراف النفر بكتاب جاء من بعد موسى. نقرأ هذا القول كما هو، ونحتاط من تحويله إلى إحصاء تاريخي لأديان الجن كلها. وجود جماعة تعرف موسى لا يحدد وحده اعتقاد كل جماعة أخرى.

ما لا نعرفه عن التنظيم

لفظة «قومنا» تدل على جماعة يرجع إليها المندرون. لكنها لا تعطينا نظام الحكم، ولا أسماء الزعماء، ولا حدود البلاد، ولا تعداد المذاهب. وتبقى القوائم المتداولة عن ملوك الجهات وخدام الأيام محتاجة إلى مصادرها، ولا تدخل في المعرفة القرآنية لمجرد استعمالها مفردات دينية.

أقرب ما يهم قارئ هذه الحكاية أن الجماعة لا تعفي الفرد من النظر. لقد عاد المستمعون إلى قومهم بالدعوة، وربما خالف ما عرفوه حديثاً ما ألفه بعضهم. إنهم في هذا المشهد يتعلمون ثم يبينون، ولا يكتفون بأن يقولوا: هكذا وجدنا الآخرين.

وبهذا يصبح اختلاف الجن تذكيراً للإنسان بأن التصنيف الواسع لا يغني عن العدل. فلا نجعل كل مستور عدوًّا، ولا كل من ادعى الإيمان موضع ثقة بلا حجة. الحكم يتبع ما ثبت، والمسؤولية تتبع الاختيار.

مصادر الفصل: القرآن الكريم، الجن: ١١-١٥؛ الأحقاف: ٢٩-٣٢.

الفصل ٤١ — الأسماء والألقاب: قراءة السجل

أربعة أنواع من الألفاظ

يجمع تداول أخبار الجن بين أسماء أفراد، وأوصاف، وأسماء أماكن، وألفاظ لجماعات. إبليس اسم مصرح به في القرآن؛ والعفريت وصف في قصة العرش؛ ونصيبين مكان تنسب إليه وفود في بعض الأخبار؛ والنفر لفظ جماعة لا قائمة أسماء.

ومن الروايات تأتي أسماء الحارث وعامر الزهرائي وعمرو بن عثمان وهام وزوبعة، لكن طريق إثبات كل واحد مختلف. لا يرث الاسم الروائي درجة الاسم القرآني لمجرد وقوعهما في صفحة واحدة.

كيف تقرأ بطاقة الاسم؟

لا يكفي أن تجد الاسم في الفهرست. انظر: هل ورد في متن خبر أم في سنده؟ هل نسبته الراوي إلى جن أم إلى إنسان؟ هل هو من لفظ المصدر أم من تعليق ناسخ أو محقق؟ وهل قبل الطريق أو نقل حكم عالم فيه؟

ستظهر في الملحق هذه الفروق على نحو مختصر. وليس الملحق سجلاً بجميع من وجد من الجن، بل دليلاً إلى الأسماء التي تناولها هذا الكتاب. وأما الاسم الذي لا نملك له مستنداً معيناً، فإنكار ترديده لا يمنحه مستنداً.

وأرى أن بقاء بعض الشخصيات بلا اسم أصدق من إعطائها اسماً جميلاً. لقد بقي نفر الاستماع في القرآن من غير تسمية أفرادهم، ومع ذلك بلغت إلينا هدايتهم كاملة في موضع العبرة. ليست كل معرفة نافعة معلقة بمعرفة الاسم.

مصادر الفصل: القرآن الكريم، الكهف: ٥٠، النمل: ٣٩، الأحقاف: ٢٩؛ إحالات الأسماء المفصلة في الملحق الثالث.

الباب السابع — الجن والإنسان: العلاقة والمسؤولية

الفصل ٤٢ — كيف نعرف أن وراء الحادثة جنياً؟

من وجود النوع إلى تعيين الفاعل

الإيمان بوجود الجن لا يحدد سبب كل واقعة مجهولة. فهناك فرق بين أن يثبت وجود مخلوق بالنص، وأن ننسب إليه مرض شخص، أو ضياع مال، أو صوتاً في بيت. الدعوى الثانية تحتاج إلى دليل يخصصها، ولا تحصل عليه تلقائياً من الدعوى الأولى.

قد يكون الراوي صادقاً في وصف ما شعر به، ثم يخطئ في تفسيره. وقد يرى شيئاً ولا يعرف حقيقته، أو يسمع قولاً فيبني عليه تصوراً أوسع من ألفاظه. حفظ كرامة صاحب التجربة لا يلزمنا بتصديق كل تفسير يضعه لها.

ترتيب السؤال

أقترح على القارئ ترتيباً بسيطاً للتفكير: ما الذي وقع فعلاً؟ ما الذي نقل إلينا، ومن نقله؟ وما الجزء الذي أضافه التفسير؟ حين نفصل هذه المستويات يقل الاضطراب، ويصبح فحص الأسباب المعتادة ممكناً.

والأصل القرآني في مسؤولية المعرفة واضح:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ، الآية ٣٦.

لا يجرمنا هذا الأصل من السؤال، بل يحرر السؤال من الإجابة المستعجلة. وقد تكون عبارة «لم يتضح السبب بعد» أدق وأكثر نفعاً من اسم غيبي لا نملك برهاناً عليه.

إن علاقة الإنسان بالجن في هذا الكتاب تبدأ من النصوص التي تناولتها، لا من تحويل كل فراغ في معرفتنا إلى موضع يسكنه جني. وكلما اتسعت المعرفة الصحيحة، اتسع معها التواضع أمام ما لم نعرف. مصادر الفصل: القرآن الكريم، الإسراء: ٣٦؛ والتحليل هنا تفريق بين أصل الاعتقاد ودليل تعيين الواقعة.

الفصل ٤٣ — الوسوسة والتزيين والتخويف

حين يتبدل وجه الشيء

عرضت قصة إبليس وعده بالتزيين، وعرضت قصة آدم الوعد الذي اتخذ صورة النصح. التزيين لا يخلق الخير في الفعل السيئ، وإنما يحاول تغيير صورته في نفس من يقدم عليه: يصير الكبر حفظاً للمقام، والطمع حذراً من المستقبل، والظلم حقاً يتوهم صاحبه أنه يسترده. لكن هذه قراءة أخلاقية لمعنى التزيين، وليست تشخيصاً لكل خاطر عابر بأنه خطاب مباشر من كائن خفي. الإنسان مسؤول عن التثبت، وله نفس وعادات ومؤثرات، ولا يعفى من فهمها بإحالتها كلها إلى الشيطان.

طريق التذكر

﴿وَأَمَّا يَظَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^ج

سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية ٢٠٠.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾

سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية ٢٠١.

تربط الآياتان الاستعاذة بالتقوى والتذكر والإبصار. فالوقاية لا تختصر في صوت ينطق، بل تسهل بحياة تسترد قدرتها على رؤية الحق حين يشتد الانفعال.

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

سُورَةُ النَّحْلِ، الآية ٩٩.

﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾

سُورَةُ النَّحْلِ، الآية ١٠٠.

لا يصير الشيطان بهذا الخطاب سيِّداً مطلقاً على الإنسان. والحديث عن سلطانه على من يتولونه يكشف أثر الاستجابة والاتباع، لا إلغاء إرادة المكلف. لا يجوز للظالم أن يحتج بالشيطان ليبقى حق المظلوم ضائعاً.

ومن هنا تكون مقاومة الوسوسة في مواضع الاختيار عملاً عملياً: وقفة قبل أذى، وتحقيق قبل اتهام، ورجوع عن ظلم، ودعاء يحفظ وجهة القلب. أما الأفكار المزعجة المتكررة التي ترهق صاحبها، فلا يصح مساواتها بقصد المعصية أو معاملتها بوصفها دليل فساد إيمان.

مصادر الفصل: القرآن الكريم، الأعراف: ٢٠٠-٢٠١؛ النحل: ٩٩-١٠٠؛ الحجر: ٣٩-٤٢.

الفصل ٤٤ — القرين: لفظ يفسره السياق

قرين الإعراض

﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾

سُورَةُ الزُّحُرْفِ، الآية ٣٦.

﴿وَأَنَّهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾

سُورَةُ الزُّحُرْفِ، الآية ٣٧.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾

سُورَةُ الزُّحُرْفِ، الآية ٣٨.

﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾

سُورَةُ الزُّحُرْفِ، الْآيَةُ ٣٩.

هذه الآيات تعرض قريناً شيطانياً في سياق الإعراض عن ذكر الرحمن، ثم تكشف أثر الصد عن السبيل والوهم بالاهتداء. والخاتمة تصور تمني البعد بعد فوات زمن الانتفاع بهذا التمني.

لا تقدم الآيات أسماء قرناء الأشخاص، ولا طريقة لاستجوابهم أو كشف أسرار الناس بواسطتهم. وما يدعى من ذلك دعوى أخرى لا يثبتها اللفظ القرآني.

قرين في مشهد الحساب

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾

سُورَةُ ق، الْآيَةُ ٢٣.

﴿* قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾

سُورَةُ ق، الْآيَةُ ٢٧.

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾

سُورَةُ ق، الْآيَةُ ٢٨.

﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾

سُورَةُ ق، الْآيَةُ ٢٩.

ورد لفظ القرين في موضعين من هذا السياق، وتختلف وظيفة القول في كل منهما. لذلك لا يكفي تشابه اللفظ للجزم بوحدة القائل أو طبيعته من غير تفسير للسياق. يعرض المفسرون في آية «هذا ما لدي عتيد» صلتها بالشاهد أو الملك الموكل، وفي القول الثاني اعتذار القرين المضل.

والقرين في اللغة يدل على المصاحب، فلا تكون كل مصاحبة جنياً، ولا تكون كل إضافة إلى الاسم أصلاً لعقيدة مستقلة. نقرأ كل موضع في ضوء ما قبله وما بعده، ونحفظ الفرق بين النص وتفسير من يفسره.

حين ينتهي هذا الفصل، لا نخرج باسم جديد نلقي عليه تبعات حياتنا، بل نفهم خطر صحة الإضلال، ومسؤولية من يسمح لها بأن تزين له البعد عن الحق.

مصادر الفصل: القرآن الكريم، الزخرف: ٣٦-٣٩؛ ق: ٢٣ و ٢٧-٢٩؛ الطبرسي، مجمع البيان، تفسير هذه المواضع.

الفصل ٤٥ — الاستعاذة بالجن وطلب الحماية

الخوف حين يبحث عن سيد

ورد في سورة الجن، ضمن الآيات التي تقدمت كاملة في الفصل الرابع والعشرين، ذكر رجال من الإنس يستعيذون برجال من الجن، وما ترتب على ذلك من زيادة الرهق. يذكر المفسرون في شرحها صوراً من طلب الحماية عند نزول مكان مخوف. أما تعيين فاعل الزيادة وتفصيل معناها، فتراجع فيه الأقوال ولا يختزل في صياغة واحدة بلا بيان.

في المعنى العام يظهر خطر أن يتحول الخوف إلى خضوع لجهة لا نعرفها، ثم يصبح هذا الخضوع سبباً لمزيد من الخوف. فمن طلب الأمان قد يقع في علاقة لا يملك التحقق من أطرافها ولا من شروطها.

من الخبر إلى الممارسة

ليس كل سؤال عن الجن طلباً للاستعانة بهم، وليس كل من خاف عبداً لغير الله. ينبغي ألا نتعجل في الحكم على الأشخاص. لكن ادعاء شخص أنه يملك وسطاء من الجن لا يكفي لإثبات صدقه أو حقه في إلزام الآخرين بمال أو طاعة.

وتختلف الصور في الفقه باختلاف حقيقة الفعل والقصد والمضمون؛ فلا يحل فصل حكائي محل السؤال الفقهي المحدد. والذي ثبته هنا أن العبادة والدعاء التعبدى لله، وأن نسبة القدرة المستقلة إلى المخلوق تناقض ما بينه الكتاب من خضوع الجن والإنس لسلطانه.

الطمأنينة التي أرجوها للقارئ لا تحتاج إلى عقد خفي. تحتاج إلى عبادة مفهومة، وأسباب مباحة معلومة، ورفض لاستغلال الحاجة. وكل قول يتستر بسر لا يجوز السؤال عنه ثم يطلب تسليماً بلا دليل جدير بالتوقف والفحص.

مصادر الفصل: القرآن الكريم، الجن: ٦ و١٨؛ الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الجن: ٦. لا يتضمن الفصل فتوى تفصيلية في جميع صور الاستخدام أو التسخير.

الفصل ٤٦ — السحر وهاروت وماروت

الآية التي تحفظ براءة سليمان

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ^ط وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

سُورَةُ الْبَقَرَةِ، الآية ١٠٢.

تجمع الآية مسائل ينبغي ألا تختلط: براءة سليمان من الكفر، وفعل الشياطين في تعليم السحر، وذكر هاروت وماروت والتحذير من الفتنة، والتفريق بين المرء وزوجه، وحد الضرر بإذن الله، والخسران في تعلم ما يضر.

لا تصف الآية سليمان ساحراً. وقد تقدم أن تسخير الجن له هبة من الله. كما أن لفظ «الملكين» في القراءة التي نقلها لا يسمح بوضع هاروت وماروت في قائمة أسماء الجن من غير دليل.

المعرفة والاختبار

عرض المفسرون وجوهاً في تركيب الآية وتفاصيل القصة. وما ألحق بها من حكايات عن شهوة الملائكة وخطيئتهم يحتاج إلى فحص مستقل، ولا يضاف إلى النص القرآني بوصفه شرحه الوحيد. ويحتفظ الكتاب بمنهجه في تنزيه مقام الأنبياء والملائكة عما لا يثبت.

وذكر تعلم ما يفرق بين الزوجين لا يبيح اتهام شخص بالسحر لمجرد حدوث خلاف أسري. فقد يعرف الناس المشكلة ولا يعرفون سببها، والاتهام نفسه فعل له تبعات أخلاقية واجتماعية. لا يكون النص شاهداً على عين الواقعة حتى يقوم دليل يربط بينهما.

حد الحكاية

ليس المقصود هنا شرح طرائق السحر أو نقل طلاسمة. المقصود فهم موقعه في خطاب التحذير، وإبقاء سلطان الله ظاهراً، وحماية الإنسان من وعد يبيع له السيطرة على غيره أو يفسر له كل ألم بتهمة.

وإذا قيل إن الضرر لا يقع إلا بإذن الله، فلا يعني ذلك رضاه عن الظلم أو سقوط مسؤولية فاعله. التفريق بين وقوع الفعل في ملك الله وبين محبته له أساس في فهم هذا السياق.

مصادر الفصل: القرآن الكريم، البقرة: ١٠٢؛ الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الآية.

الفصل ٤٧ — المس والصرع: النص وحق المريض

قراءة الآية في موضوعها

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

سُورَةُ الْبَقَرَةِ، الآية ٢٧٥.

موضوع الآية الربا، وفي تصوير حال آكله ذكر التخبط من المس. وقد بحث المفسرون دلالة هذا التعبير. لكن الآية لا تسمي مرض شخص معاصر، ولا تقدم قائمة أعراض تكفي للحكم بأن جنياً دخل جسده.

الانتقال من عبارة تفسيرية إلى تشخيص إنسان يحتاج إلى دليل لا يوفره مجرد التشابه في كلمة أو حركة. كما أن عدم معرفة سبب حالة صحية فوراً لا يثبت سبباً غيبياً بعينه.

رعاية لا اتهام

تعرف منظمة الصحة العالمية الصرع بوصفه مرضاً دماغياً غير معد، وترتبط نوباته بنشاط كهربائي مفرط في خلايا الدماغ. وتذكر أن أسبابه متعددة، وقد تبقى غير معلومة في بعض الحالات. وللتشخيص والعلاج الطبيين أثر مهم في السيطرة على النوبات.

هذه المعرفة الطبية لا تتولى تفسير كل آية، كما أن كتابنا لا يتولى تشخيص المرضى. لكنها تمنع خطأ مؤذياً: أن يحرم إنسان من الرعاية لأن من حوله اكتفوا بتسمية حالته «مساً».

لا يبرر اعتقاد ديني إيذاء المريض أو ضربه أو خنقه أو إيقاف علاجه الموصوف. ويمكن للدعاء أن يبقى مصدر سكينه لصاحبه مع متابعة الرعاية المناسبة. ولا تجعل شدة المعاناة صاحبها متهماً في صدقه أو تدينه.

كرامة الإنسان في قلب البحث

إذا خرج قارئ من هذا الكتاب أرفق بمريض وأقل تعجلاً في اتهامه، فقد أصابت الحكاية شيئاً من غايتها. نحن نكتب عن عالم غائب، لكن أثر كلماتنا يقع على أناس حاضرين، لهم أجساد تتألم وبيوت تتعب وحق في أن يسمعوها بلطف.

مصادر الفصل: القرآن الكريم، البقرة: ٢٧٥؛ منظمة الصحة العالمية، صحيفة الوقائع «الصرع»، ٧ شباط/فبراير ٢٠٢٤. المعلومات الطبية هنا عامة ولا تقوم مقام تقييم حالة بعينها.

الفصل ٤٨ — الأحلام والتشكل وحكايات التزاوج

المنام لا يثبت هوية زائره

قد يرى الإنسان في نومه شخصية تقول إنها من الجن، أو يسمع اسماً لم يألفه. لا يكفي ذلك لإثبات وجود الشخصية خارج المنام، ولا لتوثيق نسبها أو صدق ما قالته. والحكم على خبر يتعلق بالغيب لا يستغني عن الدليل لمجرد شدة أثر الحلم.

ولا يصح بناء اتهام لإنسان، أو التزام مالي، أو علاقة زوجية، على ما قيل في منام. إن التأثير بالحلم تجربة، وإثبات آثاره في الواقع مسألة أخرى.

خبر الصورة وخبر الزواج

وردت في بعض الروايات صور ظهور مختلفة، وقد ناقشنا أمثلة منها مع مراتبها. لا تنشئ هذه الأخبار وحدها علماً يتيح تمييز الجني من الإنسان بالنظر إلى علامة في الوجه أو الجسد.

وأما حكايات التزاوج بين الإنس والجن فتجمع أسئلة متباينة: إمكان يذكره متكلم، وحكم يبحثه فقيه، وواقعة يرويها قاص. ثبوت جواب في واحد منها لا يثبت الأجوبة الأخرى. وفي المصادر التي قبلت لهذا الكتاب لم يقدّم ما يجيز تقديم قصة محددة من هذا النوع بوصفها زواجاً ثابتاً مكتمل الأركان.

وهذا التوقف لا يحتاج إلى دعوى بيولوجية شاملة لم نجثها، كما لا يسمح بتصديق كل حكاية. نكتفي بحد ما نستطيع إثباته. وإذا نسب شخص علاقة أو اعتداء إلى جهة خفية، فإن سلامته وما يعانيه يستحقان اهتماماً جاداً، من غير تثبيت تفسير لم يتحقق.

مصادر الفصل: الإسراء: ٣٦ أصلاً في مسؤولية المعرفة؛ وأخبار الصور الواردة في الفصل الرابع والثلاثين. لم يعتمد الفصل واقعة زواج مخصوصة أو فتوى تفصيلية فيها.

الفصل ٤٩ — الاستعاذة: عودة القلب إلى ربه

كلمات بين العبد وربّه

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ، الآية ٩٧.

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ، الآية ٩٨.

في هاتين الآيتين طلب حماية من الله، وفيهما لغة واضحة لا تحتاج إلى اسم مجهول أو وسيط يدعي ملك الغيب. تتوجه الاستعاذة إلى الرب، ويظل المستعبد عبداً يسأل رحمته.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾

سُورَةُ الْفَلَقِ، الآية ١.

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾

سُورَةُ الْفَلَقِ، الآية ٢.

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾

سُورَةُ الْفَلَقِ، الآية ٣.

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾

سُورَةُ الْفَلَقِ، الآية ٤.

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾

سُورَةُ الْفَلَقِ، الآية ٥.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾

سُورَةُ النَّاسِ، الآية ١.

﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾

سُورَةُ النَّاسِ، الآية ٢.

﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾

سُورَةُ النَّاسِ، الآية ٣.

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾

سُورَةُ النَّاسِ، الآية ٤.

﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾

سُورَةُ النَّاسِ، الآية ٥.

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾

سُورَةُ النَّاسِ، الآية ٦.

تجمع المعوذتان صوراً من الشر، وتنتهي سورة الناس بذكر الوسوسة من الجنة والناس. بذلك لا يتحول نظر القارئ كله إلى خصم خفي؛ فقد يأتيه التزيين والصد أيضاً من خطاب بشري يسمعه ويأنس إليه.

أثر الاستعاذة في الحياة

ليس الدعاء عقدًا نطالب بموجبه بزوال كل ابتلاء في موعد نحدده. هو عبادة ورجاء، يصحبه الأخذ بالأسباب وحفظ حقوق الناس. ومن حسن أثره أن يرد الخائف إلى السكينة، وأن يوقف من هم بالأذى، وأن يذكر من أظلم عليه الطريق أن باب الله مفتوح.

ولا يضيف هذا الفصل أعدادًا مخصوصة أو أوقاتًا ملزمة لم تثبت إحالتها. النص القرآني واضح بين أيدينا، ويكفي أن نقرأه بتدبر، وأن نطلب العمل بما فيه.

هنا تنتهي فصول العلاقة العملية. لم تعد حكاية الجن بحثًا عن قوة نمتلكها، وإنما صارت سؤالاً عن الجهة التي نطمئن إليها وعن المسؤولية التي لا نتخلّى عنها. والآن نمضي إلى المصير، حيث لا تنفع الخفة ولا الخفاء في الفرار من الحساب.

مصادر الفصل: القرآن الكريم، المؤمنون: ٩٧-٩٨؛ سورتا الفلق والناس كاملتين.

الباب الثامن — نهاية الرحلة: الموت والحشر والجزاء

الفصل ٥٠ — هل يموت الجن؟

أمم مضت

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾^ط
سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية ١٨.

يذكر القرآن أمماً خلت من الجن والإنس، فلا يعرض عالم الجن بوصفه حياة أرضية لا تنقضي. والحلقة من النار لا ترفع صاحبها فوق سلطان الخالق، ولا تجعل الغياب عن أبصارنا خلوداً.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ، الآية ٢٦.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ، الآية ٢٧.

يبقى الله، ويفتقر إليه خلقه. وهذا المعنى يصحح ميلاً في الحكايات الشعبية إلى جعل العمر الطويل قدرة على الإفلات من النهاية. فالطول، إن ثبت لفرد، مقدار من زمن، لا خروج منه.

العمر الخاص لا يصير عمراً للجميع

يختلف خبر إبليس في إنظاره عن الكلام على بقية الجن. لقد طلب وأجيب بما نص عليه القرآن؛ فلا نعم إنظاره على كل جني. وكذلك ما ورد في خبر هام من عمر ممتد لا يتحول إلى متوسط لأعمار الجنس كله، مع ما تقدم من عدم اكتمال تحقيق طريقه.

وفي خبر عمرو بن عثمان ذكر موت أبيه، لكنه خبر بمرتبة إسناده التي بينها، فلا نحتاج إلى رفعه فوقها لإثبات ما تؤيده الأصول العامة.

أما سبب موت فرد من الجن، وكيفية خروج روحه، وهيئة جسده بعد ذلك، فلا تقدم المواد المحققة هنا وصفاً جامعاً لها. تنتهي معرفتنا عند حدها، ويبقى أصل النهاية باعثاً على التأمل: ليس كل من طال بقاءه قد أحسن استعمال بقاءه.

مصادر الفصل: القرآن الكريم، الأحقاف: ١٨؛ الرحمن: ٢٦-٢٧؛ الحجر: ٣٦-٣٨؛ والأخبار الخاصة في الفصلين ٢٦ و ٢٨ بمراتبها المبينة.

الفصل ٥١ — ما بعد الموت وحدود التفصيل

البرزخ في موضعه

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ، الآية ٩٩.

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ، الآية ١٠٠.

تصور الآيتان طلب الرجوع عند مجيء الموت، ثم الحاجز إلى يوم البعث. سياقهما خطاب عن حال من يواجه نهايته ويتمنى العمل بعد فوات وقته. ولا تكفيان وحدهما لرسم جميع تفاصيل الحياة البرزخية لكل صنف من الجن.

ومثل هذا التفريق لازم عند قراءة أخبار أحوال الإنسان بعد الموت؛ فما ورد في غسل جسده وقبره وشؤونه لا ينقل حرفياً إلى عالم آخر من غير دليل. قد يشترك المكلفون في أصل المصير، وتبقى كيفية بعض الأحوال مما لم نعلمه.

لا نسد الغيب بحكاية

ليس في التوقف هنا فراغ يعيب الكتاب. العيب أن نملأه ببلدان وأبواب وحوارات ندعي أنها وقائع. إننا لا نملك شهادة مباشرة عن جني متوفى، وما يروى عن أصوات في المقابر أو أحلام بالراجلين لا يصبح، بمجرد، مصدرًا لعقيدة تفصيلية.

والفائدة التي نأخذها من مشهد الرجوع الممنوع تخص حياتنا الحاضرة: قيمة الوقت الذي نستطيع فيه إصلاح العمل. لقد بدأ إبليس بطلب التأجيل، ويظهر في هذا المشهد من يتنى الرجوع؛ وفي الحالين يظل الزمن تحت أمر الله.

يمضي الكتاب بعد ذلك إلى ما كان البيان فيه أوضح: الحشر والخطاب والحساب. فلا نبذل ترتيب المعرفة برغبة القارئ أو الكاتب في كثرة التفاصيل.

مصادر الفصل: القرآن الكريم، المؤمنون: ٩٩-١٠٠. وما ذكر من حدود نقل التفاصيل بيان لطريقة الاستدلال، لا إنكار لأصل المعاد.

الفصل ٥٢ — الوقت المعلوم ونهاية إبليس

بين السؤال والجواب

طلب إبليس الإنظار إلى يوم البعث، وجاء الجواب بالإنظار إلى يوم الوقت المعلوم، كما تقدم النص كاملاً في الفصل الحادي عشر. لا يجوز أن نسوي عبارتي الطلب والجواب من غير بحث، ولا أن نستخرج منهما تاريخاً حسابياً لم يذكره القرآن.

المتيقن من هذا المشهد أن المهلة ليست ملكاً لإبليس، وأن نهايتها مردودة إلى علم الله وحكمه. ليست المدة المفتوحة أمام نظرنا مدة مفتوحة أمام سلطان الله.

اختلاف الأخبار

تذكر المصادر التفسيرية أخباراً متعددة في تعيين الوقت. ففي النقل عن العياشي، عن وهب بن جميع، خبر يربطه بقيام القائم ومسجد الكوفة. وفي تفسير القمي خبر عن محمد بن يونس عن رجل، يذكر نهاية إبليس على يد رسول الله صلى الله عليه وآله عند الصخرة في بيت المقدس. وترد مادة أخرى تربطه بالنفخة وما بين النفختين.

أورد الحويزي هذه المواد في نور الثقلين عند آيات الحجر، وناقش الطباطبائي اختلافها في البحث الروائي من الميزان، ج ١٢، ص ١٧٥. وعرض وجهاً للجمع يرتبط بتقارب معاني انكشاف الحق في الظهور والرجعة والقيامة. هذا توجيه تفسيري له صاحبه، لا نص إضافي في ألفاظ الروايات.

وفي طريق الخبر المذكور عن القمي راو مبهم بلفظ «عن رجل». أما النقل عن العياشي فيرد في النسخة التي صرح مختصرها بحذف الأسانيد، كما تقدم في الفصل الرابع؛ فليس بين أيدينا في هذا الموضع طريق كامل يصل الخبر بالمصنف ثم بالإمام. هذا يحدد سبب التوقف في الاستدلال بالتفاصيل، من غير أن يساوي بينها وبين الخبر ذي الطريق المتصل، أو يحكم باختلافها. ويبقى إثبات طريق آخر لأي خبر بحثاً مستقلاً، ولا تمنح هذه النسخة المشاهد المختلفة حكماً واحداً بالصحة.

خاتمة العداوة

لا أختار من هذه الأخبار مشهداً ثم أضيف إليه تفاصيل الآخرين كأنها قصة متصلة لا اختلاف فيها. أحفظ أصل الإنظار القرآني، وأعرض ما ورد في التعيين بوصفه مادة تحتاج إلى تحقيق.

وإذا كان تفصيل النهاية محل بحث، فمسؤوليتنا في الحاضر ليست معلقة عليه. لا يحتاج المرء إلى معرفة ساعة نهاية إبليس ليقاوم الكبر والكذب والعدوان اليوم.

مصادر الفصل: القرآن الكريم، الحجر: ٣٦-٣٨؛ الحويزي، نور الثقلين، ج ٣، ص ١٣-١٤، ولا سيما نقله عن العياشي، الخبر ٤٦؛ تفسير العياشي، مقدمة مختصر النسخة في حذف الأسانيد؛ تفسير القمي عند ص: ٧٩-٨١؛ الطباطبائي، الميزان، ج ١٢، ص ١٧٥، البحث الروائي.

الفصل ٥٣ — الحشر: اجتماع العالمين في الحساب

انتهاء زمن التبادل

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ^ط وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ، الْآيَةُ ١٢٨.

يجمع المشهد الجن وأوليائهم من الإنس، وتظهر فيه علاقة الاستمتاع المتبادل ثم الاعتراف ببلوغ الأجل. لا يقدم النص هذا التبادل نجاحاً يستحق الإعجاب؛ إنما يكشفه عند انتهاء المهلة وظهور العاقبة.

وقد بحث المفسرون وجوه الاستمتاع: من التضليل والطاعة إلى ما يتوهمه الطرفان من منفعة. لا يلزم من الآية أن كل علاقة بين إنسي وجني داخلية في هذا الوعيد؛ فالسياق يصف أطرافاً ومواقف مخصوصة، وقد سبق في القرآن خبر الجن المؤمنين.

لا خفاء يحجب الحساب

في الحياة الدنيا قد يعجز الإنسان عن رؤية بعض المخلوقات أو معرفة أفعالها. أما في مشهد الحشر فلا يصير ذلك عائقاً أمام عدل الله. الذي خلق يعلم، والذي كلف يحاسب، ولا يحتاج إلى اعتراف المخلوق ليكتشف ما كان مجهولاً له.

هنا تسقط فكرة أن الخفاء حصانة. وقد تكون هذه من أعمق ثمرات الكتاب للإنسان نفسه: ما خفي من عملنا عن الناس ليس خارج المسؤولية، وما أظهرناه لهم من صورة جميلة لا يحو ما أضمرناه من ظلم. وترد في ختام الآية صفتا الحكمة والعلم، فتظل النهاية مرتبطة بهما، لا بتصور الكاتب عن عقوبة يزيد تفاصيلها كلما أراد إثارة القارئ. نقرأ الوعيد بجدية، ونقف عند ما أخبر به الله. مصادر الفصل: القرآن الكريم، الأنعام: ١٢٨؛ الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الآية.

الفصل ٥٤ — السؤال والشهادة والعدل

الحجة التي بلغت

تقدم في الفصل الرابع عشر نص الأنعام: ١٣٠، وفيه خطاب الجن والإنس وسؤالهم عن مجيء الرسل وقص الآيات والإنذار باللقاء. وتجيء بعده قاعدة الجزاء:

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ، آيَةُ ١٣٢.

العمل حاضر في الحساب، والعلم الإلهي لا يغفل عنه. فلا يضيع المختلفون في جماعة واحدة لمجرد اشتراكهم في جنس أو اسم.

مشاهد متعددة

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ، آيَةُ ٣١.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ، آيَةُ ٣٢.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ، الْآيَةُ ٣٩.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ، الْآيَةُ ٤٠.

﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ، الْآيَةُ ٤١.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ، الْآيَةُ ٤٢.

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ، الْآيَةُ ٤٣.

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ، الْآيَةُ ٤٤.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ، الْآيَةُ ٤٥.

لا تحمل عبارة «سنفرغ لكم» على حاجة الله إلى ترك شغل كان يعوقه؛ إنها في سياق الوعيد والتوجه إلى الحساب، والله منزّه عن عجز المخلوق وحاجته.

وقد يتساءل القارئ عن نفي السؤال عن الذنب هنا، مع إثبات السؤال في مواضع أخرى. يبين التفسير الفرق بين طلب العلم بشيء مجهول، وبين التقرير والتوبيخ وإظهار الحجّة، كما ينظر في اختلاف المواقف. فلا تعارض لازم بين معرفة المجرمين بسيماهم وبين خطابهم بما تقوم به الحجّة عليهم.

عدل لا تميز فيه بالخلقة

لم يجعل أصل النار عذراً للعاصي ولا مانعاً للمؤمن من الرحمة. والذي أخطأ في أول الحكاية حين احتج بمادة خلقه يجد في نهايتها سقوط هذا المعيار. الوزن للعمل والموقف، لا لدعوى التفوق التي يخرعها صاحبها.

وهذه نهاية مناسبة لدرس بدأ قبل آدم: أن يكون الإنسان أكثر حذراً من حكم يصدره على الآخرين بحسب أصلهم، وأكثر انشغالاً بما يحمله هو من حق أو باطل.

مصادر الفصل: القرآن الكريم، الأنعام: ١٣٠ و ١٣٢؛ الرحمن: ٣١-٤٥؛ الطبرسي، مجمع البيان، تفسير مشاهد السؤال في سورة الرحمن.

الفصل ٥٥ — خطاب الشيطان حين تقضى الأمور

الوعد الذي انكشف

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
سورة إبراهيم، الآية ٢٢.

هذه من أشد لحظات الحكاية بياناً. ينسب الشيطان إلى الله وعد الحق، ويعترف بإخلافه هو، ويذكر الدعوة والاستجابة، ثم يعلن عجزه عن إغاثة من تبعه وعجزهم عن إغاثة.

لا تسقط بذلك تبعة التضليل عنه، ولا يسقط عن المستجيب أثر اختياره. إنما تنهار الحجة التي يريد بها كل طرف أن يحمل الآخر جميع ما صنعه. لقد كان للاتباع زمن، وصار للنتيجة زمن.

تبرؤ لا نجاة فيه

﴿كَثَلَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾

سُورَةُ الْحَشْرِ، الآيَةُ ١٦.

﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾

سُورَةُ الْحَشْرِ، الآيَةُ ١٧.

تعرض الآيتان مثلاً للتزيين ثم التبرؤ، ولا تحتاج العبرة إلى أن نلحق به اسماً مشهوراً من حكاية لم يذكرها هذا الموضع من القرآن. المهم هو المسار: دفع إلى الكفر، ثم انسحاب عند انكشاف العاقبة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾

سُورَةُ فُصِّلَتْ، الآيَةُ ٢٩.

يتنى الكافرون رؤية من أضلوهم من الجن والإنس وإذلالهم. ولا يعطينا هذا النص وحده أسماء كل من ينطبق عليه، ولا يخرج الإنسان المضل من المسؤولية لأن موضوع كتابنا الجن.

الدرس الذي يعود إلى البداية

كان الخطأ الأول في قول إبليس إنه خير، ثم امتد إلى مشروع إغواء. وفي النهاية لا تبقى له قدرة على الوفاء بما وعد. لذلك فإن أكثر ما يخدم القارئ ليس حفظ أسماء أتباعه، بل معرفة الطريق الذي يجعل فيه الإنسان الباطل مقبولاً ثم يدفع ثمنه.

مصادر الفصل: القرآن الكريم، إبراهيم: ٢٢؛ الحشر: ١٦-١٧؛ فصلت: ٢٩.

الفصل ٥٦ — العذاب والرحمة: المصير الذي يستحقه الاختيار

وعيد القاسطين

ورد في الجن: ١٥، وقد تقدم نصها، الوعيد بأن القاسطين حطب لجهم. وورد في دعوة نفر الأحقاف وعد بالمغفرة والإجارة من العذاب لمن يجيب داعي الله ويؤمن. فالحكاية منذ بدايتها الأخلاقية قائمة على الفرق بين الاستجابة والإعراض.

لا نحكم على كل الجن بمصير إبليس، ولا نخصص الرحمة بما لم يخصه النص. إن جمع المؤمن والمعاند في نهاية واحدة يلغي الفرق الذي أقامه القرآن بينهما.

باب الرجاء

﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ، الآية ٤٦.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ، الآية ٤٧.

﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْنِ إِنَّسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ، الآية ٥٦.

﴿لَمْ يَطْمِثْنِ إِنَّسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ، الآية ٧٤.

استدل مفسرون من خطاب الثقلين ومن هذه المواضع على دخول مؤمني الجن في الثواب، وعرض الطبرسي عند الرحمن: ٥٦ أقوالاً في هذا المعنى ونسبها إلى أصحابها، منها ما يتعلق بأزواجهم في الجنة. ننقل وجود هذا الاستدلال، ولا نحول جميع جزئيات القول التفسيري إلى نص قرآني.

أما تصوير دورهم وملابسهم وأعراسهم في الآخرة تفصيلاً، أو الجزم بأن نصيب المؤمن منهم ينتهي إلى مجرد الفناء، فلا يستند في هذا الكتاب إلى دليل محقق يجيز ذلك. يبقى الوعد والعدل والرحمة أوسع من تخيلاتنا عن الكيفية.

آخر ما تحمله الرحلة

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ، الآية ٦٠.

نصل إلى نهاية الفصول وقد تغير السؤال. بدأناه: من هم الجن؟ ثم صار: ماذا يقول الله عن خلقهم واختيارهم وهدايتهم ومصيرهم؟ وفي الطريق صار للإنسان نصيب من السؤال أيضاً: ما الذي أصنعه حين أسمع الحق؟ وأي وعد أصدق؟ وأي أثر أتركه في حياة من حولي؟

ليست نهاية الحكاية انتصار الفضول على الغيب، بل قيام المعرفة بما تطيق، وقيام القلب بما علم. وما بقي مستوراً نرده إلى الله، وما ظهر من هداية نحاول أن نعمل به.

مصادر الفصل: القرآن الكريم، الجن: ١٤-١٥؛ الأحقاف: ٣١؛ الرحمن: ٤٦-٤٧ و ٥٦ و ٦٠ و ٧٤؛ الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الرحمن: ٥٦.

الخاتمة — ما الذي عاد معنا من الحكاية؟

أصل إلى آخر هذه الرحلة، وأعود بذاكرتي إلى الباب الذي دخلنا منه: نفر يصغون إلى القرآن. ما زالت صورتهم، في حدود ما أخبر به النص، أقرب الصور إلى مقصد هذا الكتاب؛ سمعوا، ثم حملوا أثر ما سمعوا إلى قومهم.

وبين أول الطريق وآخره مررنا بامتحان أظهر ما يصنعه الكبر بصاحبه، وبملك دل على قدرة منحها الله وحدود لم يرفعها عن المخلوق، وبأخبار طلب فيها السائلون معالم دينهم. ثم انتهينا إلى حساب لا يستر فيه الخفاء عملاً، وإلى وعد لا تضيعه المسافة بين عالم نراه وعالم لا نراه.

لم أخرج من هذه الصفحات وأنا أزعم أنني أحطت بعالم الجن. خرجت وأنا أشد انتباهاً إلى الفارق بين النور الذي يهدي الخطوة، والخيال الذي يرسم ما وراء الأفق. ولكل منهما موضعه؛ فحين يضبط الخيال عبارتنا يمنحها حياة، وحين يتقدم على الدليل في وصف الغيب قد يمنحنا صورة جميلة ويسلبنا الحقيقة.

وأرجو أن يكون ما عاد مع القارئ أبقي من مجموعة أسماء. لعل آية سيقراها بعد اليوم بتدبر أوسع، أو خبراً سيسأل عن مصدره قبل أن ينقله، أو خوفاً سيصغي إلى صاحبه برفق. هذه ثمرات هادئة، لكنها تستطيع أن تغير طريقة عيشنا مع المعرفة ومع الناس.

لقد رأينا أن قوة المخلوق لا تعصمه من الجهل، وأن كثرة العمل لا تنفع من يفسدها الاستكبار، وأن السؤال عن الدين قد يكون أجمل ما في حكاية عجيبة. ورأينا كذلك أن الإنسان يستطيع أن يكون شريكاً في التضليل، فلا يحمل كل شر على عالم لا يراه ثم يعفي يده ولسانه.

وأفكر، عند إغلاق هذا الكتاب، في قارئ يضعه إلى جواره ثم يعود إلى بيته وأهله وعمله. ما أتمناه له أن يحمل إلى تلك الحياة شيئاً مما قرأ: أمانة في كلمة، وعدلاً في حكم، ورحمة بمن أتعبه الألم. فليس بعيداً أن يكون امتحاننا الأقرب في هذه الأشياء الصغيرة التي تمر بنا كل يوم.

أما الأسئلة التي بقيت، فلم أرد أن أخفيها في ازدحام الكلام. أثبتُّ ما أمكن من مواضعها، وجمعت في الملاحق ما يعين على الرجوع إليها. بعض الأسانيد يحتاج إلى تحقيق أوسع، وبعض الأقوال إلى مقابلة أدق بين الطبقات. وهذه حدود معلنة للبحث، لا أحكام أخيرة على ما لم يستوعبه.

وأضع جهدي بين يدي القارئ كما يضع المسافر ما جمعه في الطريق: فيه ما اهتدى إليه، وفيه ما يحتاج إلى دليل يصححه. أرجو أن يحفظ لي القارئ صدق القصد، وأن يعينني على تصويب العبارة والنسبة والاستنتاج. فالكتاب الذي يقبل المراجعة يظل قادراً على أن يخدم الحقيقة.

اللهم اجعل ما علمتنا حجة تهدينا إلى طاعتك، وارزقنا في المجهول تواضعاً، وفي المعلوم أمانة، وفي معاملة خلقك رحمة. واحفظ قلوبنا من كبر يحجبها عن الحق، وألسنتنا من قول لا نملك دليله، وأعمالنا من أذى نغفل عن أثره.

أطوي هذه الحكاية، وأترك عند بابها الإصغاء مفتوحاً. لعل قارئاً يدخل منه بسؤال، ويخرج بخطوة أقرب إلى الرشد.

السيد حسام زهاء مرتضى الصراف الحسيني

الملاحق

تجمع هذه الملاحق مفاتيح الرجوع إلى النص، وتبين نطاق المادة التي دخلت هذا الكتاب. تُعتمد أرقام الفصول في الإحالات الداخلية، ويجمع الفهرست التفصيلي عناوين الفصول والملاحق مع أرقام صفحاتها.

الملحق الأول — فهرست الآيات المنقولة كاملة

يشمل هذا الفهرست الآيات التي ورد نصها كاملاً في الكتاب، مع مواضعها. وتوجد في إحالات الفصول آيات أخرى أشير إلى أرقامها دون تكرار نصوصها. تتكرر بعض الآيات بحسب حاجة السياق.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

الآيات: ٣٠، ٣٤، ١٠٢، ٢٧٥.

المواضع: الفصول ٥، ٩، ٤٦، ٤٧.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

الآيات: ١١٢، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٢.

المواضع: الفصول ٢، ١٤، ٥٣، ٥٤.

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

الآيات: ٢٠-٢٢، ٢٧، ٢٠٠-٢٠١.

المواضع: الفصول ١٢، ١٣، ٤٣.

سُورَةُ يُوسُفَ

الآيات: ١٠٠.

المواضع: الفصول ١٦.

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

الآيات: ٢٢.

المواضع: الفصول ٥٥.

سُورَةُ الْمَجْرِ

الآيات: ٢٧-٣١، ٣٤-٤٢.

المواضع: الفصول ٣، ٩، ١١.

سُورَةُ النَّحْلِ

الآيات: ٩٩-١٠٠.

المواضع: الفصول ٤٣.

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

الآيات: ٣٦، ٦٤-٦٥.

المواضع: الفصول ١٣، ٤٢.

سُورَةُ الْكَهْفِ

الآيات: ٥٠.

المواضع: الفصول ٧.

سُورَةُ مَرْيَمَ

الآيات: ٤٤-٤٥.

المواضع: الفصول ١٦.

سُورَةُ طه

الآيات: ١٢٠-١٢٢.

المواضع: الفصول ١٢.

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

الآيات: ٢٦-٢٧، ٨٢.

المواضع: الفصول ٦، ١٨.

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

الآيات: ٩٧-١٠٠.

المواضع: الفصول ٤٩، ٥١.

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

الآيات: ١.

المواضع: الفصول ٢٢.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

الآيات: ١٠، ١٧، ٣٨-٤٠.

المواضع: الفصول ٢، ١٩، ١٧، ٣٤.

سُورَةُ سَبَأٍ

الآيات: ١٢-١٤.

المواضع: الفصول ١٨، ٢٠.

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

الآيات: ٦-١٠.

المواضع: الفصول ٢١.

سُورَةُ صَافٍ

الآيات: ٣٥-٣٩، ٤١، ٧٥-٧٦.

المواضع: الفصول ١٠، ١٦، ١٧.

سُورَةُ فَصَّلَتْ

الآيات: ٢٩.

المواضع: الفصول ٥٥.

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

الآيات: ٣٦-٣٩.

المواضع: الفصول ٤٤.

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

الآيات: ١٨، ٢٩-٣٢.

المواضع: الفصول ٢٣، ٥٠.

سُورَةُ قَ-

الآيات: ٢٣، ٢٧-٢٩.

المواضع: الفصول ٤٤.

سُورَةُ الذَّارِيَّاتِ

الآيات: ٥٦.

المواضع: تمهيد.

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

الآيات: ١٥، ٢٦-٢٧، ٣١-٣٥، ٣٩-٤٧، ٥٦، ٦٠، ٧٤.

المواضع: الفصول ٣، ٣٩، ٥٠، ٥٤، ٥٦.

سُورَةُ الْحَشْرِ

الآيات: ١٦-١٧.

المواضع: الفصول ٥٥.

سُورَةُ الْجِنِّ

الآيات: ١-٢٨.

المواضع: المقدمة العامة؛ الفصول ١، ٦، ٢٤، ٢١، ٢٢.

سُورَةُ الْفَلَقِ

الآيات: ١-٥.

المواضع: الفصول ٤٩.

سُورَةُ النَّاسِ

الآيات: ١-٦.

المواضع: الفصول ٤٩.

الملحق الثاني — سجل الروايات ومراتب استعمالها

هذا سجل للمواد الروائية الرئيسة التي استعمالها الكتاب، لا تخرّج جامع لجميع ما ورد في الجن. وعبارة «لم يحكم هنا على السند» تعني أن هذه النسخة لم تستكمل ذلك الحكم، ولا تعني تصحيح الخبر أو الجزم بوضعه.

أخبار الكافي في كتاب الحجّة

الباب: «أن الجن يأتهم فيسألونهم عن معالم دينهم ويتوجهون في أمورهم». أحكام الطرق الآتية منسوبة إلى المجلسي في مرآة العقول، وليست أحكاماً جديدة للمؤلف.

١. حديث سعد الإسكاف وخروج القوم من عند الباقر، الحديث ١: «مجهول»، مرآة العقول، ج ٤، ص ٢٩١. موضعه في الكتاب: الفصل ٢٧.

٢. خبر القوم الخارجين من عند الصادق، الحديث ٢: «ضعيف»، ج ٤، ص ٢٩٢. موضعه: الفصل ٣١.

٣. خبر سعد والقوم المعتمين بالعمائم، الحديث ٣: «مرسل»، ج ٤، ص ٢٩٣. موضعه: الفصل ٢٧.

٤. خبر سدير والكتاب ذي الطين الرطب، الحديث ٤: «حسن وآخره مرسل»، ج ٤، ص ٢٩٤. لا ينسحب حكم الحسن على الزيادة المصدرة بعبارة «وفي رواية أخرى». موضعه: الفصل ٣١.

٥. خبر حكيمة بنت موسى وعامر الزهرائي مع الإمام الرضا، الحديث ٥: «ضعيف»، ج ٤، ص ٢٩٥. موضعه: الفصل ٣٢.

٦. خبر عمرو بن عثمان عند منبر أمير المؤمنين، الحديث ٦: «ضعيف على المشهور»، ج ٤، ص ٢٩٥. موضعه: الفصل ٢٨.

٧. خبر رسالة الباقر إلى جابر الجعفي، الحديث ٧: «ضعيف أو مجهول»، ج ٤، ص ٢٩٦. موضعه: الفصل ٣١.

أخبار البدايات وإبليس

٨. عبادة إبليس في الخطبة القاصعة: نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢ في الترقيم الشائع. استعمل النص في الفصل ٨ للعبارة بالاستكبار، ولم تستخرج منه سنة تقويمية لبداية الجن.

٩. تسمية إبليس بالحارث: الصدوق، معاني الأخبار، باب معنى إبليس، الحديث ١، ص ١٣٨. يسوقه عن المظفر بن جعفر بن المظفر العلوي، عن جعفر بن محمد بن مسعود العياشي، عن أبيه، عن علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن محمد بن الوليد، عن عباس بن هلال، عن الإمام الرضا عليه السلام. وفي طريق الصدوق إلى العياشي حكمان مختلفان: التضعيف عند الخوئي، معجم رجال الحديث، ترجمة محمد بن مسعود بن محمد، رقم ١١٧٩٥؛ والتحسين عند محسن الأعرجي، عدة الرجال، ج ٢، ص ١٨٩-١٩٠. يتعلق الحكمان بالطريق إلى العياشي؛ ولا يغني نقلهما عن دراسة بقية سند خبر الاسم. لم يمنح الكتاب الخبر تصحيحاً جامعاً؛ الفصل ٨.

١٠. قياس إبليس: الكافي، كتاب فضل العلم، باب البدع والرأي والمقاييس، الحديثان ١٨ و ٢٠. حكم المجلسي على الحديث ١٨ بالضعف، مرآة العقول، ج ١، ص ١٩٩. أما ص ٢٠١ فتد فيها عبارة «الحديث العشرون صحيح»، ويتلوها شرح «أرايت» الواردة في الحديث ٢١، ثم عنوان «الحديث الحادي والعشرون مرسل» وشرح «وليجة» الواردة في الحديث ٢٢. لذلك لا تُسند العبارة بمجرد رفقها إلى خبر القياس، ولا يُجزم بتصحيح الترقيم دون شاهد آخر. ومن جهة مستقلة، يصف الجواهري أحمد بن عبد الله بن العقيلي بالمجهول في المفيد من معجم رجال الحديث، الترجمة ٦٤٨/٦٤٥/٦٤٦. وثبتت هوية الراوي في معجم الخوئي، ج ٢، ص ١٥٠، الترجمة ٦٤٨، بذكر روايته عن عيسى بن عبد الله القرشي ورواية إبراهيم بن هاشم عنه، والإحالة إلى حديث الكافي رقم ٢٠ نفسه. لا يزيل هذا البحث التباس الترقيم، لكنه يمنع اعتماد الطريق صحيحاً بلا مناقشة رجاله؛ الفصل ١٠.

١١. مدد الخلق قبل آدم: تفسير العياشي، تفسير البقرة: ٣٠، خبر عيسى بن حمزة. يرد بلا طريق كامل في النسخة المختصرة التي صرح صاحب مقدمتها بحذف الأسانيد. ونوقش اعتبار التفسير من هذه الجهة في مصباح الفقاهة، تقرير أبحاث الخوئي، ج ١، ص ٦٩. لم تعتمد أرقام الخبر تقوياً ثابتاً؛ الفصل ٤.

١٢. خبر الجن والنسناس: الاستدراك الذي تصرح حاشية النص المقابل من تفسير العياشي بأنه منقول من تفسير القمي. حفظت نسبة هذا الاستدراك، ولم ينسب إلى متن العياشي الأصلي بلا تفريق؛ الفصل ٥.

١٣. نوح وإبليس في الحسد والحرص: الخصال، أبواب الاثنين، «خصلتان ذكرهما إبليس لنوح»، الحديث ٦١، ص ٥٠-٥١. الطريق المطبوع: الصدوق عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي، عن أبان بن عثمان، عن العلاء بن سيابة، عن الإمام الصادق عليه السلام. وتذكر حاشية المحقق زيادة «عن عمر» في النسخ، وتحكم بزيادتها بالرجوع إلى طريق العلاء في شرح المشيخة. هذه ملاحظة تحقيق نصي منسوبة إلى صاحبها، وليست تصحيحاً لسند الخبر كله؛ الفصل ١٥.

الوفود والأسماء وأخبار أهل البيت

١٤. اختلاف روايات الاستماع وصحبة ابن مسعود وأعداد نفر: مجمع البيان عند الأحقاف: ٢٩ والجن: ١. استعملت لعرض تعدد النقل، لا لتصحيح جميع الطرق؛ الفصلان ٢٥ و ٢٦.

١٥. زوبعة: النقل عن زر بن حبيش في مجمع البيان، تفسير الأحقاف: ٢٩. اسم روائي لا قرآني؛ الفصل ٢٦.

١٦. هام بن هيم بن لاقيس: تفسير القمي عند الحجر: ٢٧، ونقل الصافي عنه؛ وبصائر الدرجات، باب إتيان الجن للأئمة، الأخبار ٨ و ١٢ و ١٣، ص ١١٧-١٢١. في الثامن اسم إبراهيم بن إسحاق، وقد فصل بحث تعيينه في الفصل ٢٦. والثاني عشر من طريق إبراهيم بن هاشم وعمرو بن عثمان الخزاز

وعمر بن يزيد؛ تظهر له جهة اعتبار بناءً على توثيق الأول، وتوثيق الخزاز، وحمل عمر بن يزيد المطلق على بيع السابري وفق بحث الخوئي. هذا استنتاج من مقابلة تراجم الرجال، لا نقل لحكم صريح على الخبر بعينه. والثالث عشر يشتمل على راو مبهم. لم تُنقل تفاصيل العمر وعتاب الأنبياء من الرواية الطويلة إلى حكم الطريق الثاني عشر، نخلو نصه المقابل منها؛ الفصلان ١٥ و ٢٦.

١٧. نياحة الجن على الحسين: كامل الزيارات، باب ٢٩. تناول الكتاب خبر أم سلمة، وخبر ليلي، وخبر نساء بني عبد المطلب، وأمثلة أخرى من الباب. لم يحكم بصحة جميع أسانيده، ونبه إلى الإبهام في بعض الطرق؛ الفصل ٣٠.

١٨. خبر نساء بني عبد المطلب: يعين في هذا الكتاب بمطلعه «لما هم الحسين بالشخص عن المدينة»، بسبب اختلاف عرضه وترقيمه بين صفحات النسخة الرقمية المقابلة. لا تسمى عمته فيه؛ الفصلان ٢٩ و ٣٠.

١٩. فسطاط السجاد في عسفان: الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٥٨٧-٥٨٨، الخبر ١٠؛ ودلائل الإمامة، تحقيق مؤسسة البعثة، ص ٢١٢، الخبر ١٣٥/٢٥. وسنده في الدلائل: أبو طاهر عبد الله بن أحمد الخزاز، عن أبي بكر محمد بن عمر بن سلم التميمي، عن أبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد، عن إبراهيم بن أحمد بن جبرويه، عن محمد بن أبي البهلول، عن صالح بن أبي الأسود، عن جابر بن يزيد، عن الإمام الباقر عليه السلام. وتشير حاشية الطبعة إلى اختلاف ضبط «سلم/سالم» و«جبرويه/جبرويه». وصف الجواهري صالح بن أبي الأسود بالمجهول، المفيد من معجم رجال الحديث، ص ٢٨١، الترجمة ٥٨٠١/٥٧٩١/٥٧٩٢؛ وهذا سبب محدد لعدم تصحيح الطريق على ذلك المبنى، دون ادعاء الحكم على جميع رجاله أو وضع متنه. يورد الكتاب القصة مع نسبتها وحدود نقلها؛ الفصل ٣١.

٢٠. عموم الرسالة والاثناعشر وصياً: الإمامة والتبصرة، الحديث ١٤٦، ص ١٣٤. نقل لبيان الصلة في النص الروائي، من غير حكم مستقل على سنده؛ الفصلان ٢٧ و ٣٣.

٢١. طعام الجن: تهذيب الأحكام، ج ١، الحديث ١٠٥٣. قوبلت مناقشة الرواية في كتاب الطهارة، تقرير أبحاث السيد الخوئي، ج ٣، ص ٤١٦-٤١٧، عند بحث ضعف نصوص الباب وفرض جبره. لم يحول النص إلى وصف فسيولوجي شامل؛ الفصل ٣٦.

٢٢. الوقت المعلوم: أخبار تفسير العياشي والقمي كما عينت في الفصل ٥٢، مع مقابلة عرضها في نور الثقلين والبحث الروائي في الميزان. في طريق القمي راو مبهم، ويقع نقل العياشي ضمن النسخة المحذوفة الأسانيد بحسب مقدمتها. لم تثبت هنا طرق أخرى تستكمل هذا النقص، ولم تجمع المشاهد المختلفة في واقعة قطعية واحدة.

٢٣. وفد الجن عند الباقر في خبر أبي حمزة الثمالي: بصائر الدرجات، باب إتيان الجن للأئمة، الخبر ٣، ص ١١٦؛ من طريق أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن مالك بن عطية. عُنِ الطريق من غير إصدار حكم مستقل بصحته؛ الفصل ٢٧.

٢٤. مجلس الصادق بمنى في خبر عمار السجستاني: بصائر الدرجات، الباب نفسه، الخبر ١١، ص ١١٩؛ ونقله البحار، ج ٢٧، ص ٢١. حفظ الكتاب وصف الخبر ولم يخترع مضمون المسائل التي لم يسمها؛ الفصل ٣١.

٢٥. أبو خالد الزبالي مع الإمام الكاظم: الكافي، كتاب الحجّة، باب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر، الحديث ٣. قال المجلسي: «مجهول بالزبالي»، وذكر إمكان عده حسنًا؛ مرآة العقول، ج ٦، ص ٤١. هو خبر يتضمن ذكر الوسوسة، لا وصف لقاء ظاهر بجني؛ الفصل ٣٢.

٢٦. خبر إبراهيم بن وهب عند الغدير: بصائر الدرجات، باب إتيان الجن للأئمة، الخبر ١٥، ص ١٢٢؛ البحار، ج ٢٧، ص ٢١-٢٣، الخبر ١٣. وردت كنية «أبي الحسن» في النص المقابل، فحفظت من غير تعيين بالكنية وحدها. لم يحكم هنا بصحة إسناده؛ الفصل ٣٢.

٢٧. الدعاء المروي عن الحسن عن أمه فاطمة: نقل المجلسي عن مهج الدعوات، باب ٩١ من أبواب الدعاء، الخبر ٣٥، ومطلعه «يا أعزّ مذكور». عبارة «وجدناه بإسناد صحيح» منقولة عن ابن طاووس

في هذا النص، وليست حكماً مستقلاً للمؤلف. الخبر في تعليم الدعاء، لا في حضور وفد من الجن؛
الفصل ٢٩.

حدود التحقيق الروائي

ينسب هذا الكتاب أحكام الأسانيد إلى أصحابها، ويميّز بين ثبوت موضع الخبر وتقويم طريقه ودلالة
متنه. انتهت المقابلة إلى تفاوت طرق هام، وبيان جهة اعتبار الثاني عشر بحسب التوثيق والمباني
المذكورة، وإلى سبب رجالي محدد لعدم تصحيح طريق خبر عسفان. وأثبت اختلاف تقويم صدر
طريق خبر الحارث، وسبب نقص أسانيد النسخة المتداولة من تفسير العياشي، وفُصل بحث راوٍ من
خبر القياس عن التباس ترقيم حكمه في مرآة العقول. ولكل نتيجة حدها: اعتبار أحد الطرق لا يصحح
زيادات طريق آخر، وجهالة راوٍ لا تعني اتهامه بالكذب، وفقد السند لا يثبت اختلاق المتن. وما لم
يتحقق طريقه لا يقوم عليه وحده تقرير يقيني في هذا الكتاب.

هذه نتائج مراجعة مصدرية ورجالية في المواضع المعينة، وليست حكماً باستقصاء جميع نسخ الكتب أو
جميع أسانيد الباب. وقد صُرح بما نُقل من أحكام العلماء، وما استُنتج من المقابلة، وما بقي دون دليل
كافٍ. وبذلك يقرأ القارئ النص وحدود استعماله معاً، ويستطيع أن يرجع إلى الموضع المحدد للمناقشة
أو الاستدراك.

الملحق الثالث — معجم الأسماء الواردة في أخبار الجن

إبليس: اسم قرآني، صرح الكهف: ٥٠ بأنه من الجن. الفصول ٧-١٣ و ٥٢ و ٥٥.

الحارث: اسم ورد لإبليس في خبر معاني الأخبار؛ لا يذكره القرآن بهذا الاسم. عُرِضَ اختلاف تقويم صدر طريقه، ولم يُصَحَّح الخبر بكامل سنده في هذا الكتاب. الفصل ٨.

زوبعة: ورد في خبر ينقله مجمع البيان عن زر بن حبيش في نفر الجن. الفصل ٢٦.

عامر الزهرائي: اسم في خبر الكافي عن حكيمة بنت موسى والإمام الرضا؛ حكم المجلسي على الطريق بالضعف. الفصل ٣٢.

عثمان: والد عمرو في متن الخبر السادس من باب الجن في الكافي؛ لا تعين له هوية أخرى من مجرد الاسم. الفصل ٢٨.

عمرو بن عثمان: الشخصية التي يذكرها خبر المنبر. يجب الفصل بينها وبين راو بالاسم نفسه في إسناد الخبر، وعدم افتراض اتحادهما. الفصل ٢٨.

لاقيس: اسم في نسب هام كما يورده الخبر المنقول؛ لا تتكون منه ترجمة مستقلة محققة. الفصل ٢٦.

هام: الشخصية الرئيسة في خبر هام بن هيم بن لاقيس، وترد أيضًا باسم «هامة». تفاوتت طرق أخبارها ومتونها؛ ولا تنقل تفاصيل العمر من الرواية الطويلة إلى حكم طريق آخر. الفصلان ٢٦ و ٥٠.

هيم: اسم في نسب هام، ومرتبته مرتبطة بالخبر نفسه. الفصل ٢٦.

أسماء للمقابلة: آصف بن برخيا يرد في تسمية تفسيرية تقليدية لصاحب علم الكتاب، وليس الاسم في آية النمل نفسها، ولا يدرج هنا بوصفه جنياً. هاروت وماروت في البقرة: ١٠٢ لا يسجلان في أسماء الجن. انظر الفصلين ١٩ و ٤٦.

الملحق الرابع — الشخصيات والجماعات غير المسماة

العفريت في مجلس سليمان: وصف في النمل: ٣٩، بلا اسم شخصي في الآية؛ الفصل ١٩.

الذي عنده علم من الكتاب: وصف في النمل: ٤٠، من غير تسمية قرآنية؛ الفصل ١٩.

نفر الاستماع: جماعة في الأحقاف: ٢٩ والجن: ١، من غير تعداد أو أسماء في الآيتين؛ الفصول ٢٣-٢٦.

قوم نفر: المخاطبون بدعوتهم في الأحقاف؛ لا تستخرج من لفظ «قومنا» وحده خريطة سياسية؛ الفصل ٤٠.

البنائون والغواصون والعاملون لسليمان: مجموعات موصوفة بأعمالها في ص والأنبياء وسبأ؛ الفصلان ١٧ و ١٨.

الزوار في أخبار سعد الإسكاف وخبر الصادق: جماعات غير مسماة الأفراد، مع اختلاف مراتب الطرق؛ الفصلان ٢٧ و ٣١.

حامل كتاب الباقر إلى سدير: غير مسمى في الخبر؛ الفصل ٣١.

الجنية النائحة في خبر أم سلة: لا اسم لها في النص الذي نقله كامل الزيارات؛ الفصل ٣٠.

الشيخ وابن أخيه في خبر شاهي: لم تثبت لهما تسمية في المتن المنقول؛ الفصل ٣٠.

أصحاب الضيافة في خبر عسفان: جماعة وردت ضمن الرواية التي ناقشها الفصل ٣١.

وفد أبي حمزة عند الباقر، والزوار في خبر عمار عند الصادق بمنى: لم يسم النص أفرادهم؛ الفصلان ٢٧ و ٣١.

الجماعة في خبر الغدير الذي رواه إبراهيم بن وهب: لا أسماء فردية لها في النص المقابل، ولم تُعط أسماء مأخوذة من حكايات أخرى؛ الفصل ٣٢.

الملحق الخامس — دليل الأعلام البشرية في المتن

هذا دليل للأعلام الرئيسة في الحكاية، ولا يحول اسم الراوي إلى بطل الواقعة أو اسم المذكور إلى شاهد عليها.

آدم وحواء: امتحان السجود والوسوسة، مع مراعاة منهج العصمة؛ الفصول ٩-١٢.

نوح: موضعه في أخبار الأزمنة الأولى والموعظة المنقولة؛ الفصل ١٥.

إبراهيم ويوسف وأيوب وموسى وعيسى: الشواهد المتفرقة وصلتها بالموضوع وحدود بناء التسلسل منها؛ الفصل ١٦.

سليمان: الملك والتسخير والأعمال وعرش ملكة سبأ والموت؛ الفصول ١٧-٢٠.

محمد صلى الله عليه وآله: عموم الرسالة والاستماع والوفود؛ الفصول ٢١-٢٦.

علي بن أبي طالب عليه السلام: الخطبة القاصعة، وموقفه في خبر عمرو بن عثمان؛ الفصول ٨-١٠ و ٢٨.

فاطمة الزهراء والإمام الحسن عليهما السلام: الدعاء المروي عن الحسن عن أمه، والفرق بين تعليم الدعاء وإثبات واقعة لقاء خاصة؛ الفصل ٢٩.

الحسين عليه السلام: أخبار النياحة والمسير والمصاب؛ الفصل ٣٠.

علي بن الحسين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق عليهم السلام: الضيافة والتعليم والرسائل في الأخبار المعينة؛ الفصلان ٢٧ و ٣١.

موسى الكاظم وعلي الرضا عليهما السلام: خبر أبي خالد الزبالي وخبر حكيمة بنت موسى؛ ومحمد الجواد وعلي الهادي والحسن العسكري عليهم السلام: ضبط النسبة وحدود المادة الخاصة؛ الفصل ٣٢.

الإمام المهدي عجل الله فرجه: عموم الحجة ودعاوى الاتصال وأخبار الوقت المعلوم؛ الفصلان ٣٣ و ٥٢.

أم سلمة: ناقلة خبر السماع في كامل الزيارات، ولا تعطى الجنية الواردة في الخبر اسمها؛ الفصل ٣٠.
ليلي: ناقلة سماع النوح في الخبر الخامس من باب كامل الزيارات؛ لا يثبت من هذا النص وحده
نسبها أو كونها جنية؛ الفصل ٣٠.

حكيمه بنت موسى: ناقلة خبر عامر الزهرائي؛ لا تدمج بحكيمه بنت الجواد؛ الفصل ٣٢.
عمة الحسين: غير مسماة في خبر نساء بني عبد المطلب، ولا يستدرك اسمها بالتخمين؛ الفصلان ٢٩
و ٣٠.

سعد الإسكاف وسدير الصيرفي وجابر الجعفي: رواة أو أصحاب وقائع في أخبار تعليم الجن ورسائل
الباقر؛ الفصلان ٢٧ و ٣١.

ابن عباس وابن مسعود وزر بن حبيش: أسماء في طرق وأقوال ينقلها التفسير عن الوفود؛ الفصلان
٢٥ و ٢٦.

أبو حمزة الثمالي وعمار السجستاني: ناقلا خبري الوفد عند الباقر والمجلس عند الصادق بمبنى؛ الفصلان
٢٧ و ٣١.

أبو خالد الزبالي: ناقل خبر الانتظار وعودة الإمام الكاظم؛ الفصل ٣٢.
إبراهيم بن وهب: صاحب الخبر عند الغدير في الرواية عن «أبي الحسن»؛ لا يدرج في أسماء الجن؛
الفصل ٣٢.

الملحق السادس — أشهر مواضع الخلط وكيف عالجها الكتاب

١. مساواة الجن بالشياطين: فرق الكتاب بين جنس الخلق ووصف التردد؛ الفصلان ٢ و ٤٠.
٢. جعل جميع الجن ذرية لإبليس: لا يدل ذكر ذريته وحده على ذلك؛ الفصلان ٧ و ١٣.
٣. تحويل أرقام أخبار ما قبل آدم إلى تاريخ قطعي: أبقيت بمرتبها الروائية ولم تبين عليها سنوات تقويمية؛ الفصلان ٤ و ٥٥.
٤. نسبة كل خلق عظيم أو بناء قديم إلى الجن: لا يثبت بقصة أعمالهم الخاصة لسليمان؛ الفصل ١٨.
٥. منح الجن علم الغيب المطلق: يناقضه مشهد موت سليمان وحدود المعرفة في سورة الجن؛ الفصلان ٢٠ و ٣٨.
٦. دمج أخبار الوفود كلها في ليلة واحدة: حفظ اختلاف الروايات، ولم يقدم احتمال تعدد الوقائع حلاً قطعياً لكل اختلاف؛ الفصل ٢٥.
٧. الخلط بين كلام المؤلف وحاشية المحقق: ظهر مثاله في استدراك خبر الجن والنسب؛ الفصل ٥.
٨. الخلط بين أسماء الإسناد وشخصيات المتن: ظهر مثاله في عمرو بن عثمان؛ الفصل ٢٨.
٩. تسمية الجنية النائحة «ليلي» من غير دليل: فرق الكتاب بين ناقلة السماع والجنية المذكورة في خبر آخر؛ الفصل ٣٠.
١٠. جعل كل مرض أو حلم أو صوت دليلاً على الجن: فرق بين التجربة وتفسيرها، وأثبت حق المريض في الرعاية؛ الفصول ٤٢ و ٤٧ و ٤٨.
١١. بناء تكليف على رسالة مزعومة من الجن عن الإمام: لم يعد مجرد الدعوى دليلاً على النيابة أو الإلزام؛ الفصل ٣٣.
١٢. تصحيح الخبر بكثرة الكتب الناقلة عن أصل واحد: حافظ على الفرق بين تكرار النقل وتعدد الطرق؛ الفصلان ٢٦ و ٥٢.

هذه أمثلة على ما عولج في الكتاب. وعدم إثبات خبر ضمن المصادر المقابلة ليس ادعاءً بأن المؤلف
فتش جميع كتب العالم ولم يجده.

الملحق السابع — خط زمني دون تواريخ مصنوعة

قبل خلق آدم: سبق خلق الجان، بنص الحجر: ٢٧. لا يحدد النص عدد السنوات؛ الفصل ٤.

عند الأمر بالسجود: امتناع إبليس وبدء العداوة كما عرضها القرآن؛ الفصول ٧-١٣.

عصور الأنبياء الأولى: شواهد قرآنية متفرقة وأخبار متفاوتة. لم يعتمد الكتاب سلسلة لقاءات متصلة لكل عصر؛ الفصول ١٤-١٦.

عهد سليمان: التسخير والأعمال وواقعة العرش ثم انكشاف الموت، مع عدم تعيين مدد لم يذكرها القرآن؛ الفصول ١٧-٢٠.

الرسالة المحمدية: استماع النفر وإيمانهم وإنذارهم لقومهم. تعيين جميع ليالي الوفود وأماكنها تابع لتحقيق الروايات؛ الفصول ٢١-٢٦.

أزمنة الأئمة: أخبار التعليم والضيافة والرسائل والنيابة بحسب مصادرها ومراتبها، من غير تحويلها إلى وقائع متساوية الثبوت؛ الفصول ٢٧-٣٣.

الوقت المعلوم: نهاية الإنظار ثابتة في أصل الخطاب القرآني، وتفصيل التعيين في الروايات محل بحث؛ الفصل ٥٢.

الموت والحشر والحساب والجزاء: نهاية المسار الموضوعي للكتاب. لا يحدد لها المؤلف موعداً تقويمياً؛ الفصول ٥٠-٥٦.

الملحق الثامن — مصطلحات القراءة

- الجن: اسم المخلوقات المكلفة التي يتناولها هذا الكتاب في ضوء النصوص، ولا يساوي اسم الشياطين.
- الجان: لفظ يفهم بحسب موضعه؛ يرد في سياق الخلق، ويرد في تشبيه حركة العصا في قصة موسى.
- الشیطان: وصف للتمرد والإضلال، وقد ورد في القرآن للإنس والجن.
- إبليس: الفرد الذي نص القرآن على امتناعه عن السجود وكونه من الجن.
- العفريت: وصف ورد لأحد الجن في قصة العرش، وليس اسماً شخصياً مصرحاً به هناك.
- النفر: جماعة؛ لا يستفاد منه وحده تعداد أفراد الواقعة أو أسماؤهم.
- الثقلان: الإنس والجن في خطاب سورة الرحمن.
- القرين: المصاحب؛ يحدد السياق المقصود في كل موضع.
- الوسوسة: إلقاء خفي يذكره النص في سياق الإغواء؛ ولا تكفي الكلمة لتشخيص منشأ كل فكرة مزعجة.
- الإنظار: الإهمال، وقد ورد في طلب إبليس وجوابه.
- الوقت المعلوم: نهاية المهلة التي عينها الله في جوابه لإبليس؛ لا يتضمن اللفظ وحده تاريخاً حساسياً للقارئ.
- الحشر: الجمع لمشهد الحساب والجزاء.
- البرزخ: الحاجز المذكور إلى يوم البعث في المؤمنون: ١٠٠؛ وتفاصيل أحواله تحتاج إلى أدلتها.
- السند: سلسلة ناقلي الخبر.
- المتن: نص الخبر بعد سلسلة نقله.
- المرسل: وصف لخبر لم يصل إلينا فيه اتصال الطريق على الوجه المطلوب؛ تختلف تفاصيل الاستعمال باختلاف اصطلاح العالم.

المجهول: حكم في دراسة الطريق أو بعض رجاله؛ لا يعني أن مضمون الخبر قد ثبت كذبه.

الضعيف: خبر لم يستوف شروط القبول السندي عند من حكم عليه؛ لا يساوي وحده الحكم بالوضع.

الحسن والصحيح: درجتان اصطلاحيتان تخضعان لمباني علم الرجال والدراية؛ ينسب الكتاب الحكم إلى صاحبه، ولا يستعمل اللفظين بمعناهما اللغوي بدل التحقيق.

الموضوع: الخبر المختلق المنسوب إلى قائله؛ لا يطلق هذا الحكم لمجرد عدم العثور على سند صحيح.

التفسير: بيان المعنى والسياق، وقد يجمع أقوالاً وآثاراً لا تتساوى في الثبوت.

التأمل: فهم أو عبرة يعرضها المؤلف بصفته، ولا تتحول إلى حديث منسوب إلى المعصوم.

العصمة: أصل تنزيه الأنبياء والأئمة في المنهج الإمامي الذي يعتمد عليه المؤلف، وتبحث تطبيقاته مع النصوص في مواضعها.

الرجعة: مفهوم عقدي إمامي يتصل بالرجوع إلى الدنيا قبل القيامة؛ ذكره الكتاب عند عرض توجيه اختلاف أخبار نهاية إبليس، دون استقصاء بابه.

المصادر والمراجع

تضم هذه القائمة المصادر التي استعملت مواضع منها في هذا الكتاب. لا تعني قراءة مواضع من كتاب استقصاء جميع أجزائه أو اعتماد جميع أخباره. والإحالة إلى الباب أو الآية أو رقم الحديث مقدمة على رقم الصفحة عند اختلاف الطبعات.

القرآن الكريم

القرآن الكريم: الآيات المنقولة كاملة مثبتة بأسماء سورها وأرقامها، ومجموعة في الملحق الأول. ترد الآيات بالرسم العربي المقروء مع التشكيل.

كتب الحديث والخطب

الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي. المواضع المستعملة: كتاب فضل العلم، باب البدع والرأي والمقاييس؛ وكتاب الحجّة، باب أن الجن يأتيهم فيسألونهم عن معالم دينهم ويتوجهون في أمورهم، وباب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر.

الشريف الرضي، جمعاً: نهج البلاغة. الخطبة القاصعة، رقم ١٩٢ في الترقيم الشائع، في خبر عبادة إبليس والتحذير من الكبر.

الصدوق، محمد بن علي بن بابويه: معاني الأخبار. باب معنى إبليس، الحديث الأول.

الصدوق: الخصال. أبواب الاثنين، «خصلتان ذكرهما إبليس لنوح»، الحديث ٦١، ص ٥٠-٥١، بتصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، مع الاستفادة من تنبيهه إلى اختلاف لفظ السند.

ابن قولويه، جعفر بن محمد: كامل الزيارات. باب نياحة الجن على الحسين بن علي عليهما السلام.

ابن بابويه، علي بن الحسين: الإمامة والتبصرة من الحيرة. الحديث ١٤٦ في عموم الرسالة وذكر الأوصياء.

الطوسي، محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام. الجزء الأول، الحديث ١٠٥٣ في أبواب الطهارة.

الراوندي، قطب الدين: الخرائج والجرائح. الجزء الثاني، ص ٥٨٧-٥٨٨، خبر نزول الإمام السجاد في عسفان.

دلائل الإمامة، المنسوب إلى محمد بن جرير الطبري الإمامي: تحقيق قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، ص ٢١٢، الخبر ١٣٥/٢٥، في فسطاط الإمام السجاد بعسفان. قوبل نص الخبر وسنده، مع حفظ اختلاف ضبط بعض أسماء الرواة في حاشية الطبعة.

الصفار، محمد بن الحسن: بصائر الدرجات. باب «في الأئمة عليهم السلام وأن الجن يأتيهم فيسألونهم عن معالم دينهم ويرسلونهم في حوائجهم ويعرفونهم»، ص ١١٥-١٢٢ في النسخة المقابلة؛ ولا سيما الأخبار ٢ و ٣ و ٨ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٥.

ابن طاووس، علي بن موسى: مهج الدعوات. استعمل دعاء «يا أعز مذكور» المروي عن الحسن عن فاطمة بواسطة نقل المجلسي في بحار الأنوار، باب الدعوات الماثورة غير الموقته، الخبر ٣٥؛ وهذه إحالة إلى مصدر منقول عنه، لا ادعاء بمقابلة الكتاب كله.

كتب التفسير

تفسير القمي، المنسوب إلى علي بن إبراهيم القمي: أخبار الخلق وقصة هام عند الحجر: ٢٧، وخبر الوقت المعلوم عند سورة ص. لا تعني نسبة الكتاب هنا الحكم باتحاد جميع طرق مادته أو تصحيحها.

العياشي، محمد بن مسعود: تفسير العياشي. المواضع المتعلقة بالبقرة: ٣٠ والحجر: ٣٨، ومقدمة مختصر النسخة المتداولة في بيان حذف الأسانيد. فصل في المتن بين هذا التصرف في نقل الكتاب وصنيع مؤلفه، وبين الخبر من التفسير والاستدراك المأخوذ من القمي.

الطبرسي، الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن. تفسير آيات الجن في الأنعام والأحقاف والجن، وآيات السحر والقرين والحشر والجزء التي عينتها إحالات الفصول.

الفيض الكاشاني: تفسير الصافي. النقل عن القمي في خبر هام، وتعيين مادته عند الحجر: ٢٧.

الحويزي: تفسير نور الثقلين. الجزء الثالث، مواضع روايات الوقت المعلوم عند آيات الحجر.

الطباطبائي، محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن. فقرة الكلام في الجن عند سورة الجن، والبحث الروائي في تفسير آيات الحجر، ولا سيما ج ١٢، ص ١٧٥.

الشروح والبحث العقدي

المجلسي، محمد باقر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول. الجزء الأول، ص ١٩٩-٢٠١، في خبري القياس وملاحظة ترقيم التعليقات؛ والجزء الرابع، ص ٢٩١-٢٩٦، في أحكام طرق باب الجن من كتاب الحجّة في الكافي؛ والجزء السادس، ص ٤١، في خبر أبي خالد الزبالي. نسبت الأحكام إلى صاحبها في حدود ما اتضح من النص المقابل، وبين موضع التباس الترقيم في سجل الروايات. ولا يعدّ عدم إخراج خبر في مختارات عالم آخر حكماً مستقلاً بوضعه.

المجلسي: بحار الأنوار. الجزء السابع والعشرون، باب أخبار الجن مع الأئمة، ومنه ص ٢١-٢٣؛ وباب ٩١ «الدعوات الماثورة غير الموقّعة»، الخبر ٣٥ المنقول عن مهج الدعوات. استعمل للتعرف إلى النصوص ومصادر نقلها، مع الرجوع إلى الأصل حين أتيح.

الشریف المرتضى: تنزيه الأنبياء. مبحث تنزيه آدم عليه السلام وتوجيه ما ورد في قصته، في حدود ما استعمله الفصل الثاني عشر.

كتاب الطهارة، تقرير أبحاث السيد أبي القاسم الموسوي الخوئي. الجزء الثالث، ص ٤١٦-٤١٧ في النسخة المقابلة، مبحث الاستنجاء بالعظم والروث؛ استعمل لعرض مناقشة مستند الرواية، لا لإصدار فتوى من المؤلف.

النجاشي، أحمد بن علي: فهرست أسماء مصنفی الشيعة، المعروف برجال النجاشي، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي، ص ٢٨٧، الترجمة ٧٦٦، في توثيق عمرو بن عثمان الثقفي الخزاز.

الخوئي، أبو القاسم الموسوي: معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة. ترجمة محمد بن مسعود بن محمد، رقم ١١٧٩٥، في تقويم الطريق إليه؛ وج ٢، ص ١٥٠، الترجمة ٦٤٨، في تعيين أحمد بن عبد الله بن العقيلي؛ والتراجم ٣٣٢ و ٨٨٠٦ و ٨٨٣٤، في إبراهيم بن هاشم وعمر بن يزيد، وتوثيق الراوي وتمييز المشترك.

الأعرجي الكاظمي، محسن: عدة الرجال، تحقيق مؤسسة الهداية لإحياء التراث، ج ٢، ص ١٨٩-١٩٠؛ تقويم طريق الصدوق إلى محمد بن مسعود العياشي، مع بيان أساس تحسينه.

الجواهري، محمد: المفيد من معجم رجال الحديث. ترجمة أحمد بن عبد الله بن العقيلي، ٦٤٨/٦٤٥/٦٤٦؛ وتراجم إبراهيم بن إسحاق، ١٠٠-١٠٢، ص ٦؛ وترجمة صالح بن أبي الأسود، ٥٨٠١/٥٧٩١/٥٧٩٢،

ص ٢٨١. استعمل في بيان الأحكام المنقولة وحدود تعيين الراوي، مع التمييز بين حال الراوي وصحة الطريق إلى كتابه.

التوحيدي التبريزي، محمد علي: مصباح الفقاهة، تقرير أبحاث السيد أبي القاسم الموسوي الخوئي، ج ١، ص ٦٩، الفائدة الواردة في الحاشية بشأن إرسال تفسير العياشي؛ استعملت في بحث طريق النقل وحدوده.

المرجع الصحي

منظمة الصحة العالمية: «الصرع»، صحيفة وقائع، مؤرخة في ٧ شباط/فبراير ٢٠٢٤. استعملت للمعلومات الطبية العامة في الفصل السابع والأربعين، دون أن تحل محل تشخيص فردي.

تنبيه على طريقة الرجوع

قوبلت مواضع المصادر في نسخ رقمية تعرض النصوص الأصلية، منها مكتبة الثقلين ومكتبة أهل البيت ومكتبة صحراء النجف ووقفية التفاسير العظيمة، وقوبلت مواضع بصائر الدرجات أيضاً في نسخة إلكترونية مستقلة. أبقى الإحالات داخل المتن إلى المؤلفات وأبوابها وأرقام أخبارها، لتظل نافعة مع اختلاف الطباعات. رقم صفحة العرض في بعض المكتبات الرقمية يختلف عن الرقم المطبوع داخل الصفحة؛ لذلك قدم الكتاب اسم الباب ورقم الحديث أو مطلع عند الحاجة. وما نقل بواسطة مصدر آخر صرح بواسطته. أما بيانات دار النشر وسنة الطبع التي لم تتحقق لكل مصدر، فلم تستكمل بالتخمين.

الفهرست التفصيلي

يطابق هذا الفهرست ترتيب المتن، وترتبط عناوينه بمواضع الفصول والملاحق في النسخة الرقمية. وتُعمد أرقام الفصول في الإحالات الداخلية، أما أرقام الصفحات في النسخة المرقمة فتتبع إخراجها الخاص.

الصفحات الافتتاحية

- ١ حكاية الجن
- ٢ الإهداء
- ٣ الشكر والتقدير
- ٤ كلمة المؤلف
- ٦ موضع الكتاب في السلسلة
- ٧ المقدمة العامة — حين يصير الإصغاء بداية الهداية
- ٩ منهج الكتاب ومصادره
- ١١ تمهيد — ما الذي نعرفه وما الذي نبحث عنه؟

١٢ فهرست الباب الأول — بداية الحكاية: خلق الجن وعالمهم الأول

- ١٢ الفصل ١ — الجن في القرآن الكريم: خريطة النصوص والموضوعات
- ١٣ الفصل ٢ — الجن والجان والشياطين والعفاريت: الأسماء والفروق
- ١٥ الفصل ٣ — من نار السموم ومارج النار: أصل الخلق
- ١٦ الفصل ٤ — قبل خلق آدم: سبق الوجود وأسئلة البداية

الفصل ٥ — الأرض قبل الإنسان: تحقيق أخبار الجن الأوائل ١٧

الفصل ٦ — الجن والملائكة والإنسان: ثلاثة عوالم في نظام الخلق ١٩

فهرست الباب الثاني — إبليس: من الاستكبار إلى العداوة ٢١

الفصل ٧ — إبليس من الجن: الهوية والأصل ٢١

الفصل ٨ — إبليس قبل امتحان السجود: العبادة والمقام والأسماء ٢٢

الفصل ٩ — خلق آدم والأمر بالسجود: بداية الامتحان ٢٤

الفصل ١٠ — رفض السجود: حين جعل إبليس نفسه معياراً للحق ٢٥

الفصل ١١ — اللعنة والإنظار: العداوة المؤجلة ٢٧

الفصل ١٢ — آدم وحواء ووسوسة الشيطان ٢٩

الفصل ١٣ — ذرية إبليس وقبيله وجنوده ٣١

فهرست الباب الثالث — الجن في عصور الأنبياء قبل الرسالة الخاتمة ٣٤

الفصل ١٤ — هداية الجن: التكليف والحجة والإنذار ٣٤

الفصل ١٥ — من آدم إلى نوح: الأخبار الأولى وحدود التسلسل ٣٥

الفصل ١٦ — من إبراهيم إلى موسى وعيسى: الجن والرسالات ٣٧

الفصل ١٧ — سليمان وتسخير الجن: ملك بقدرة الله ٣٩

الفصل ١٨ — البناؤون والغواصون: الجن في أعمال سليمان ٤٠

الفصل ١٩ — العفريت وعرش ملكة سبأ ٤٢

الفصل ٢٠ — موت سليمان: حين انكشف جهل الجن بالغيب ٤٤

٤٦ فهرست الباب الرابع — الجن والرسالة المحمدية

٤٦ الفصل ٢١ — قبيل البعثة: السماء واستراق السمع

٤٨ الفصل ٢٢ — رسالة إلى العالمين

٤٩ الفصل ٢٣ — ليلة الإصغاء: نفر يستمعون القرآن

٥١ الفصل ٢٤ — سورة الجن: شهادة من داخل العالم الغائب

٥٤ الفصل ٢٥ — وفود الجن: بين أصل اللقاء وتعدد الروايات

٥٥ الفصل ٢٦ — الأسماء والبلدان: زوبعة وهام ونصيبيين

٥٩ فهرست الباب الخامس — الجن وأهل البيت عليهم السلام

٥٩ الفصل ٢٧ — الإمامة وتعليم الجن

٦١ الفصل ٢٨ — أمير المؤمنين وعمرو بن عثمان

٦٢ الفصل ٢٩ — فاطمة الزهراء والإمام الحسن: الدعاء وأمانة الحكاية

٦٤ الفصل ٣٠ — الحسين عليه السلام ونياحة الجن

٦٦ الفصل ٣١ — السجاد والباقر والصادق: خبر الضيافة ومجالس العلم

٦٩ الفصل ٣٢ — من الكاظم إلى العسكري: ضبط الأسماء وحدود الأخبار

٧١ الفصل ٣٣ — الجن والإمام المهدي: عموم الحجة وحدود أخبار المستقبل

٧٣ فهرست الباب السادس — طبيعة الجن وحياتهم: ما تقوله النصوص

٧٣ الفصل ٣٤ — الخفاء والصورة: هل نعرف كيف تبدو الجن؟

٧٤ الفصل ٣٥ — الذرية والذكورة والأنوثة

٧٥	الفصل ٣٦ — الطعام والشراب والنوم
٧٧	الفصل ٣٧ — المواطن والمساكن
٧٨	الفصل ٣٨ — اللغة والمعرفة وطلب العلم
٧٩	الفصل ٣٩ — القدرة والحد
٨٠	الفصل ٤٠ — الأديان والجماعات والاختيار
٨١	الفصل ٤١ — الأسماء والألقاب: قراءة السجل
٨٣	فهرست الباب السابع — الجن والإنسان: العلاقة والمسؤولية
٨٣	الفصل ٤٢ — كيف نعرف أن وراء الحادثة جنياً؟
٨٤	الفصل ٤٣ — الوسوسة والتزيين والتخويف
٨٥	الفصل ٤٤ — القرين: لفظ يفسره السياق
٨٧	الفصل ٤٥ — الاستعاذة بالجن وطلب الحماية
٨٨	الفصل ٤٦ — السحر وهاروت وماروت
٩٠	الفصل ٤٧ — المسّ والصرع: النص وحق المريض
٩١	الفصل ٤٨ — الأحلام والتشكيل وحكايات التزاوج
٩٢	الفصل ٤٩ — الاستعاذة: عودة القلب إلى ربه
٩٥	فهرست الباب الثامن — نهاية الرحلة: الموت والحشر والجزاء
٩٥	الفصل ٥٠ — هل يموت الجن؟
٩٦	الفصل ٥١ — ما بعد الموت وحدود التفصيل

٩٧	الفصل ٥٢ – الوقت المعلوم ونهاية إبليس
٩٩	الفصل ٥٣ – الحشر: اجتماع العالمين في الحساب
١٠٠	الفصل ٥٤ – السؤال والشهادة والعدل
١٠٢	الفصل ٥٥ – خطاب الشيطان حين تقضى الأمور
١٠٤	الفصل ٥٦ – العذاب والرحمة: المصير الذي يستحقه الاختيار

الخاتمة وما بعدها

١٠٦	الخاتمة – ما الذي عاد معنا من الحكاية؟
١٠٩	الملحق الأول – فهرست الآيات المنقولة كاملة
١١٥	الملحق الثاني – سجل الروايات ومراتب استعمالها
١٢١	الملحق الثالث – معجم الأسماء الواردة في أخبار الجن
١٢٢	الملحق الرابع – الشخصيات والجماعات غير المسماة
١٢٣	الملحق الخامس – دليل الأعلام البشرية في المتن
١٢٥	الملحق السادس – أشهر مواضع الخلط وكيف عالجها الكتاب
١٢٧	الملحق السابع – خط زمني دون تواريخ مصنوعة
١٢٨	الملحق الثامن – مصطلحات القراءة
١٣٠	المصادر والمراجع
١٣٤	الفهرست التفصيلي

حكاية الجن

من بدء الخلق إلى مشاهد الآخرة

يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ
وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا

سورة الجن، الآية ٢

من أصل الخلق إلى مشاهد الحشر والجزاء، يتتبع هذا الكتاب أخبار الجن كما يعرضها القرآن الكريم، وما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام، مع تمحيص الأخبار وبيان حدود المعرفة بالغيب.

رحلة في الإيمان والاختيار والمسؤولية، تستضيء بالوحي، وتدعو إلى قراءة متأنية تتجاوز الخوف إلى الفهم.

السيد حسام زهاء مرتضى الصراف الحسيني

الكتاب الخامس في سلسلة من أحد عشر كتابًا
تاريخ التأليف: ٣ حزيران ٢٠٢٢ م
الموافق ٤ ذي القعدة ١٤٤٣ هـ

ISBN 978-1-7642390-7-3



9 781764 239073